Coptic Orthodox Church
الكنيسة القبطية الأرثوذكسية
دراسات كتابية وآبائية
Biblical and Patristic Studies

من وحي
صوم يونان

هيكل في البحر

للقديس مار يعقوب السروجى
مع تعليقات لبعض آباء الكنيسة الأولين

إعداد
القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مار جرجس ـ سبورتنج

KEROLLOUS MAGDY

من وحي صوم يونان

هيكل في البحر

أم قصر فريد؟ أم دير جديد؟ أم سماء خفية؟

للقديس مار يعقوب السروجي

مع تعليقات لبعض آباء الكنيسة الأولين

2021

الطبعة الثالثة

إعداد

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس – سبورتنج

باسم الآب والابن والروح القدس

الله الواحد، آمين

اسم الكتاب: هيكل في البحر أم قصر فريد؟
أم دير جديد؟ أم سماء خفية؟
للقديس مار يعقوب السروجي.
إعداد: القمص تادرس يعقوب ملطي.
الطبعة: الثالثة 2021 مُعَدَّلة.
الناشر: كنيسة الشهيد مار جرجس – سبورتنج.
المطبعة:
رقم الإيداع: 2005/3521.
الترقيم الدولي: *I.S.B.N.: 977-392-012-7*

يونان النبي والمسيح القائم من الأموات

يونان رمز لشخص السيد المسيح

كل الرموز يوجد فيها ما يتشابه الرمز مع المرموز إليه، وفي نفس الوقت يوجد ما يختلف فيه الرمز عن المرموز إليه. لأنه إن تطابق الاثنان تمامًا لا يصيرا رمزًا ومرموزًا، بل يصير الاثنان حقيقتيْن منفصلتيْن. هذا ما نراه في شخصية يونان وقصته، كما في غيره سواء من الأشخاص أو الأحداث، مثل الحيَّة النحاسية كرمز للصليب، وشخصية يشوع كرمز ليسوع المسيح الذي يدخل بنا إلى كنعان السماوية الخ.

كثيرًا ما أشار آباء الكنيسة إلى ارتباط يونان النبي بشخص السيِّد المسيح، فهو ارتباط الرمز بالمرموز إليه، وكما يقول **القدِّيس كيرلّس الأورشليمي:** [إن كان يونان قد أُلقيَ في بطن الحوت، فالرب يسوع نزل بإرادته إلى حيث حوت الموت غير المنظور، ليُجبِرَه على قذف الذين كان قد ابتلعهم، كما هو مكتوب: "من يد الهاوية أفديهم، من الموت أُخلِّصهم.] كما يقول **القدِّيس أمبروسيوس:** [آية يونان ترمز لآلام ربّنا، وفي نفس الوقت شهادة ضدّ خطية اليهود الخطيرة التي يرتكبونها. بأهل نينوى يُشِير إلى العقاب (إذ يُقَدِّم اليهود العذابات للسيِّد المسيح)، وفي نفس الوقت الرحمة، فلا ييأس اليهود من المغفرة، إن مارسوا التوبة[1].]

- انظر في الأسفار (المقدسة)، تجد صورته العظمى مرسومة هناك بوضوح في الرؤى. إنه مصوَّر في الأنبياء، وجماله يسطع في رؤاهم؛ وأنه حالّ في الأسفار، ويصدر السرّ من تفاسيرهم. به تكلم جميع الرائين، وفسَّر سرَّه كل من كرز بالخفيات. صوَّر يونان الابنَ في طريق كرازته، ورسم الرمز في سبيل آلامه، لأنه كان يُشْبهه. يحمل العامل المختار الآلام أمام ابن الملك، ليُمَهِّد الطريق لربّه الآتي ليسير فيه.

[1] تفسير لو 11: 29–32 ترجمة مدام عايدة حنا بسطا.

أتكلم إذًا عن ابن أمتّاي وأنا مُندهِش من جمال الأسرار الذي كان يتبعه ويسير معه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يونان وسرُّ اليوم الثالث

يقول **القدِّيس كيرلس الكبير:** [نبع طلبهم (أن يصنع أمامهم آية) عن مكرٍ، فلم يُستجَب لهم، كقول الكتاب: "يطلبني الأشرار ولا يجدونني" (راجع هو 5: 6)... لقد قال لهم إنه **لا تُعطَى لهم سوى آية يونان التي تعني آلام الصلب والقيامة من الأموات،** إذ يقول: "لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام... لم يُقدِّم آية لليهود، لكنه قدَّم هذه الآلام الضروريَّة لخلاص العالم... في حديثه معهم قال: "انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه" (يو 2: 19)[2].]

في أكثر من ميمر عندما يشير القديس مار يعقوب السروجي إلى يونان النبي، يتطلَّع إلى سرِّ الثلاثة أيام، أو سرّ خلاصنا بقيامة السيد المسيح.

- صار ابن الله بين الأموات ثلاثة أيام، وسلك طريقه، وردَّ قوسه، ليأتي بقوة.
كرز في نينوى يونان ثلاثة أيام، ليكون آية لابن الله في الطريق الذي سلكه.
مشى ربنا في أسواق الهاوية ثلاثة أيام، كما مشى يونان في نينوى حين كرز فيها.
نادى يونان بانقلاب نينوى ولم تنقلب، أما ربنا فدخل، واستأصل الهاوية عندما سار فيها.
أشرق في اليوم الثالث سرُّ الابن بالقيامة، وخلص أهل نينوى.
وأيضًا كمَّل ربنا كرازته في الهاوية، وأظهر في (اليوم) الثالث قيامته بقوة عظيمة.
قاس الهاوية بخطواته، ووضع فيها علامات السلام العظيم[3].

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي– المخطوطتان: لندن 14623 ورقة 31، روما 117 ورقة 117 (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية وكتب حواشيها الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، منشورات الجامعة الأنطونية، ينابيع الإيمان 17، لبنان 2008، ص 31.

[2] *In Luc Ser 82 .*

[3] الميمر 53 (8) على آلام مخلصنا وصلبه ودفنه وقيامته (ز. ليلة أحد القيامة راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني) (النص القبطي الميمر 52 ليلة أحد القيامة المقدس).

❖ تنقَّى يونان بالمحبة الباطنية، إلى أن صار بجماله آية لابن الله[1].

القديس مار يعقوب السروجي

عن يونان النبي وتوبة أهل نينوى

في إبداع روحي فريد مع شعر سرياني مُرهَف يصعب ترجمته إلى أية لغة، يُسَجِّل لنا القديس مار يعقوب السروجي قصيدة رائعة عن هروب يونان وتوبة أهل نينوى قام بنشرها الأب بول بيجان وترجمها الأب الدكتور بهنام سوني، وأيضًا نقلها إلى العربية وكتب حواشيها الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، كما وردت في قصائد القديس مار يعقوب السروجي سنة 1905 بالفجالة، مصر.

سجَّل لنا القديس مشاعر خفية في قلب يونان، فهو كنبي يستحيل أن يكون قد بلغ به عدم المعرفة أن يختفي من وجه الرب في وسط البحر، خاصة وأنه يشهد عن ربِّه أنه صانع البحر والبر (يونان 1: 9). لكنه وهو هارب إلى البحر لتجوز عليه تيارات البحر ولججه يرى بعين النبوة سيده، وقد حمل التيارات التي حلَّتْ عليه ليرفع خطية العالم كله كما رأى إشعياء النبي (إش 53: 6).

في حديث يونان النبي مع البحَّارة لم يسألوه عن إلهه، بل عن جنسه وشعبه، وجاءت إجابته تركز على إلهه خالق البحر والبر. وكأنه وهو هارب من خدمة الأمم (أهل نينوى) يشهد لله أمام الأمميين (البحَّارة) الذين بسببه انضموا إلى أهل بيت الله، وقدَّموا ذبائح، ونذروا نذورًا لله (يونان 1: 16).

يُصَوِّر لنا البحر وأمواجه ولججه والرياح بكل عنفها، إنها تطارد الهارب من وجه الله، ولن تهدأ حتى تمسك به وتحبسه كأمر خالقها.

تعليقاته في كل تفاصيل القصيدة تَسْحَبُ قلب القارئ أو المرتل بالقصيدة لينعم بعمل السيد المسيح الخلاصي بفرحٍ عظيمٍ.

---

[1] الميمر 63 على محبة الله للبشر وعلى محبة الأبرار (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

خرج الغضب الإلهي على المدينة ليهلكها وتقدَّم الحنان الإلهي وغلق الأبواب!

يصوِّر لنا **القديس مار يعقوب السروجي** محبة الله الفائقة. فإن كان الأشرار يشربون من كأس شرِّهم مرارة وهلاكًا أبديًا، فإن الله بحُبِّه يسمح بإعلان غضبه على خطاياهم، لا للنقمة ولا لهلاكهم، وإنما لكي يكشف لهم عن ثمر شرهم. بهذا يدعوهم للتوبة، كي يتمتعوا بحنوِّه، فتُغلَق أبواب الغضب، وتنفتح أبواب السماء لتُرَحِّب بهم.

بهذا "غضب الله"، في حقيقته هو تناغم مع حبِّه وحنوِّه، لأنه يمنع الأشرار من التمادي في ممارسة شرورهم في استهتار، فيتحطَّمون!

إنه يُشَبِّه الخاطئ بفتاة نائمة، يوقظها الله بتهديداته، حتى لا يسقط عليها الهلاك بغتة!

❖ هبط الوحي من الله على النبي، ليذهب ويرد الشعوب الوثنية إلى التوبة.

أرسله إلى نينوى، ليخبر المُحصَّنة بالدمار، **حتى بتهديده إيَّاها يصرفها عن الشرور.**

قال له: قم، امضِ، واكرزْ هناك لأهل نينوى، وتكلم في آذانهم بالقصاص الذي أُدلي به إليك.

المدينة العُظمَى التي فيها اقترف الإثم العظيم؛ كان يغلي حنان عظيم ليحييها بتوبتها.

ذاك الحنّان المملوء خيرات غني بالرحمة، وحين يغضب ليضرب الأشرار يبدو كأن لا علم له.

أنه بطيء في التعذيب، وسريع جدًا في الحنان، ويتوعَّد بالتهديد، لكنه لا يقاصص بحسب تهديده،

لو قصد أن يضرب نينوى بسبب كثرة آثامها، لما أرسل إليها يحذرها من الشرور.

لو عزم حقًا أن يؤذيها، لأرسل الغضب بغتةً وضربها.

ملأ قوسه وحين رآها عارية، أشار إليها أن تلبس السلاح الذي صاغته بالطلبة،

رفع قوسه فوق رأسها، وإذ بها لم تشعر، فأرسل إليها لتشعر، وتدعو الرحمة لتُخَلِّصَها.

رفع يده ليضربها بالهلاك، وإذ كانت نائمة، دعاها وأيقظها، حتى لا تُلطَمْ في نومها.

هبَّت الغيرة من قبل العدالة على الشقية، وأرسل إليها النعمة لتركض إلى التوبة.

خرج غضبه على المدينة ليُهلِكَها، فسبقه الحنان ليُغْلِقَ أبوابها أمام الغضب فلا يَدْخُلها.

لو لم توجد هذه الرحمة هناك، لماذا لزم إرسال الكارز؟

أرسله إلى هناك حتى يَرُدَّهم من الشرور، وبالتوبة يكون له راحة، ولا يحل الفساد[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يا له من جهلٍ خطيرٍ، أن يهرب الإنسان من الله!

يرى **القديس چيروم** أن يونان لم يحتمل الذهاب إلى نينوى، إذ عرف أنه يوم تَقْبَلُ الأمم الإيمان، تجحده إسرائيل، وكأن الأمم تخلص على حساب شعبه إسرائيل. لذلك عصى الرب، لا عن كراهية في القلب، وإنما عن غيرة من جهة شعبه، وكأنه يمتثل بموسى النبي الغيور في قوله: "إن غفرت خطيتهم، وإلاَّ فامحني من كتابك الذي كتبت" (خر ٣٢: ٣١، ٣٢). فقد ظهر موسى كمن يقاوم الرب، لكنه اقتنى مراحم الله لشعبه، ولم يمحُ الله اسمه من كتابه. بنفس الروح يقول الرسول بولس: "أود لو كنتُ أنا نفسي محرومًا من المسيح، لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد الذين هم إسرائيليون" (رو ٩: ٣). لقد اشتهى لو حُرِمَ هو نفسه لكي يحيا إخوته بالمسيح، حاسبًا موته ربحًا. بهذا الحب لم يَمُتْ، بل استحق الحياة التي اشتهاها لهم. هكذا خشي يونان من كرازته للأشوريين أعداء إسرائيل هلاك إسرائيل نفسه، فهرب إلى ترشيش، أي إلى الاتجاه المُضَاد.

ويقول **القديس چيروم:** [يُشِيرُ هروب يونان إلى حال الإنسان بوجه عام، فباحتقاره وصايا الرب، هرب من وجهه وسلَّم نفسه للعالم، فاشتد به نوء العالم ليغرق، عندئذ التزم بالتأمل في الله والرجوع إلى من هرب منه... كانت السفينة في خطر... والأمواج هائجة بواسطة الرياح... فإنه متى كان الرب غير راضٍ لا يكون شيء في أمان.]

في عيد الميلاد عام 361م إذ سيم **القديس غريغوريوس النزينزي** كاهنًا لمساعدة والده الذي بلغ الثمانين من عمره. وكان يهاب الكهنوت جدًا، سيم فجأة بغير إرادته، فهرب في اليوم التالي إلى صديقه الحميم القديس باسيليوس الكبير في بنطس. لكن إذ حلَّ عيد الفصح المسيحي، أي بعد حوالي أربعة شهور عاد لاستلام العمل الرعوي. وجاء في رسالته "تبرير هروبه"[2] أن قصة يونان توحي لكثير من المقاومين للعمل الكهنوتي أن يرجعوا ويَقْبَلوا حمل نير الخدمة.

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي– المخطوطتان: لندن 14623 ورقة 31، روما 117 ورقة 117 (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية وكتب حواشيها الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 35–37.

[2] *Oration 2 in Defense of his Flight to Pontus and his Return, 109-112.*

يرى **القديس غريغوريوس النزينزي** أن يونان هرب من وجه الرب، لكنه ارتعب بسبب البحر والعاصفة والقرعة التي ألقاها النوتية. جوف الحوت ودفنه فيه ثلاثة أيام هذا كله كان يحمل سرًا عظيمًا، إذ كان يعلم أن المدينة ستخلص بالتوبة، وبهذا يحسبونه نبيًا كذابًا أمام أهل نينوى. حسب هذا عارًا أن يُحسَب أداة باطلة. هكذا كان يونان غيورًا على صدق عمله النبوي[1].

أما **القديس يعقوب السروجي** ففي دهشة وقف يتطلَّع إلى هذا النبي الهارب، متسائلاً: أليس في الهروب من وجه الله أُمية وجهلٌ؟ كيف يمكن لنبيٍ عظيمٍ كهذا أن يسلك بجهالة؟ حتمًا كان وراء سلوكه دافع أعظم! لقد هرب ليس عن جهالةٍ، إنما ليُقَدِّمَ نبوة عن آلام السيد المسيح ودفنه وقيامته! بهروبه خدم سرَّ قيامة السيد المسيح!

❖ صارت الكلمة من الله إلى يونان بن أمتاي، فارتعب الرجل، ولم يكن مستعدًا للذهاب.

بدأ يهرب من الله كما ظنَّ، وتوجَّه نحو البحر مُسرِعًا للهروب.

بأي فزع هرب يونان من الله؟ ماذا يفعل لو أُمسِكَ في الطريق؟

اهتم أن يَتَحَصَّنَ من الله في موضعٍ، حيث هناك يذهب، ويختفي فلا يهلك.

يا له من أمرٍ مُرعِبٍ للغاية أن يهرب الإنسان من الله. ماذا أقول؟ فكَّرَ يونان في الهروب.

يا له من ساذج! يهرب من سيده!...

إنه لجهالة خطيرة أن يظن الإنسان أن في إمكانه أن يفلت من المخوف ضابط الخليقة.

إنها لحماقة عظيمة أن يُفَكِّرَ أحد بهذا: أن يهرب من الله إلى موضع آخر.

ماذا أقول عن ذلك البهي (يونان) المملوء رؤى، إذ لا يُقَال شيء واحد من هذه الأمور عن بهائه؟

أنه نبي حاذق ومملوء فهمًا، وهو مستنير العقل، وواسع الأفكار، وله ذكاء مُتسلِّط على الخفايا.

إنه حكيم القلب وذكي، ويقظ بالله، ورجل الروح، وفم النبوة الناطق.

ابن العبرانيين، مُتَمَرِّس بالناموس، وتربَّى على تعاليم بيت الله.

فكيف يطلب هذا البهي المملوء حكمة أن يهرب من الله في الطريق التي سلكها؟

---

[1] *Oration 2 in Defense of his Flight to Pontus and his Return, 106.*

لا يُعقل انه كان غبيًا، ولا فيه ضلالة، ولا أفكار ناقصة.

لماذا عمل هذا العمل النقص لما أراد أن يهرب من الله؟[1]

القديس مار يعقوب السروجي

هروب يونان نبوة حسنة، وليس هروبًا من الله

غالبًا ما يُنتقَد يونان لمحاولته الهروب إلى ترشيش من وجه الله، أما القديس مار يعقوب السروجي فيرى في ذلك العمل نبوة حسنة.

❖ أنزلته صورة الابن، ليبلغ إلى الآلام، وأرسلته ليهرب إلى جوف البحر.

نظر نور السرّ، فأسرع هاربًا على ضوئه، وسكت ثلاثة أيام في قلب الأرض.

أُرسِلَ ليكرز بالتوبة للشعوب، ولو لم يتألم لكان غريبًا عن سرِّ الابن.

لو وجَّه طريقه إلى نينوى كما أُرسِلَ إليها، لما صار آية لربنا مثلما صار.

حسنة هي طريق ذاك الهارب من الله، فإنه بهذا خُدِمَ سرُ ابن الله.

لو لم يهرب، لما نزل إلى البحر العظيم، ولا صوَّر طريق ربنا الآتي إلى العالم.

لو لم يهرب لما سكن في سفح الجبل، ولما رسم موت الابن بثلاثة أيام.

هروب يونان نبوة حسنة، وهو بهاء نبوته، فبغير لومٍ هرب من الله.

لو كان يُلام لما تضاعف عليه الوحي، ولما تشرَّف بالنبوة بعد أن تجاسر (وهرب)!

حثه السرُّ ليستصعب الذهاب لئلا يذهب، حتى يمهد الطريق المملوء آلامًا أمام المُخَلِّص.

توفر للعبراني السبيل ليذهب إلى نينوى، فقادته الأسرار ليمشي إلى طريق الابن.

مهَّدَ ربنا سبيل الآلام في القبر، وألقى يونان في هوة الماء ليسير فيها[2].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي– المخطوطتان: لندن 14623 ورقة 31، روما 117 ورقة 117 (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية وكتب حواشيها الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 31–33.

[2] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 37–39.

البحر يُشِيرُ على يونان النبي بالحكمة!

يدهش البحر إذ يجد نبيًا مؤمنًا يهرب من الله، ويترك الطريق الذي أمره الرب أن يسلكه، ليسلك في البحر على خلاف ما أمره به الرب. يُشِيرُ عليه البحر أن يرجع إلى الله ويُطيعه، فإنه باطلاً يظن أن البحر يحميه من الله أو يخفيه عنه. ليس من موضعٍ في البَرِّ أو البحر خالٍ من الله.

يرى **العلامة ترتليان** أن محاولة الإنسان الهروب من الرب تظهر خطته هزيلة، فيقول: [في محاولتك للهرب من الرب يظهر هزل كل من يُخَطِّط للهروب. لقد هرب نبي عنيد من الرب ليَعْبُرَ بالبحر من يافا إلى ترشيش، كمن يقدر أن يهرب من الله. لكن الله وجده لا على البر ولا في البحر، وإنما في جوف الوحش الذي لم يستطع أن يموت لمدة ثلاثة أيام، ولا أن يهرب من عيني الله... فقال: "إنه الرب، هو قدير، كل شيء مِلْكُه، وأينما أكون فأنا في يديه. ليفعل بي ما يشاء، لن أهرب! إن أراد لي أن أموت فليكن، مادمت أخدمه بأمانة. فإنني أُفَضِّل بالأكثر أن أُطيعَه وأموت حسب مشيئته، عن أن أحيا حسب جُبْنِي[1].]

يؤكد ذلك **القديس غريغوريوس النزينزي** الذي حاول أن يهرب من العمل الكهنوتي لكنه لم يحتمل الهروب من نير الخدمة، حاسبًا أنه محاولة فاشلة وغبية للهروب من الله نفسه. يقول: [لقد عرف يونان أكثر من الكل أن غاية رسالته نحو أهل نينوى قد تحققت بهروبه؛ مع أنه غيَّر اتجاهه، إلا أنه لم يهرب من الله. فإنه لا يستطيع أحد أن يُحَقِّق هذا باختفائه في بطن الأرض، أو في أعماق البحر، أو بالتحليق بأجنحة، حتى وإن وُجِدَتْ مثل هذه الوسائل. فإنه يستحيل الهروب من الله أو الاستخفاف به. فإن أراد الله أن يمسك أحدًا ويضعه تحت يديه، فإنه يسبق كل سرعة، ويفوق حكمة الحكماء، ويلقي بالأقوياء أرضًا، ويُحدِر المرتفعين، ويُخضِع المتهورين، ويقاوم القوات[2].]

- ألقى الرب ريحًا شديدة في البحر، ليصطاد العبد الذي هرب حسب ظنِّه.
  هبَّت عاصفة وهزَّت السفينة وكادت تُحَطِّمها، ليُنتقَم من الهارب لئلا ينجو.
  ربُّ البحر أشار إلى البحر ليهيجه، فهاج جدًا حتى يعذب ابن العبرانيين.

---

[1] *Tertullian: On Flight in Time of Persecution 10: 2.*
[2] *Oration 2 in Defense of his Flight to Pontus and his Return, 108.*

استقرت إشارة القدرة الخالقة على الأمواج، فأهاجتها على الهارب الذي بدَّل الموضع.
قبل البحرُ العبدُ المُطِيع الإشارة، فذهب ليجلب إلى الله رفيقَه الذي هرب.
ركضت الرياح مثل جاريات على الهارب، لتخطفه لأنه تنكَّر لبيت ربِّه.
ركضت الأمواج بسرعة شديدة وبحركة عظيمة، وهدَّدت العبراني لتصطاده بسرعة.
تحرَّكَت البحار، لأن إنسانًا هرب من الله، ووبَّخت طريقه حتى لا يسير فيما كان مفكرًا فيه.
تكلم معه البحر العظيم بعبارات كهذه:
أين ألقيتَ طريقك يا يونان لتسير اليوم؟ أين تمضي، إذ تريد الهروب من الله؟
البحر هو للرب، فابحثْ عن مكانٍ آخر، تهرب فيه.
الرب هنا في البحر العظيم، وهو مُدَبِّره. غيِّرْ طريقك إن أردتَ مكانًا يسترك منه.
أين تهرب، فإنه بِكَفِّ يده يجمع المياه؟ أسرعْ خطاك لتفلِتَ منه، فإنك في قبضته.
هو يأمر تحت البحار وفي الأعماق. لا تهرب، ارجع إليه فهو بالقُرْبِ منك.
للبحر أبواب ومتاريس لدى الله. مَنْ أغواك لتأتي فتُصطَاد إن كنتَ هاربًا؟
كلما توغلتَ في البحر العظيم، فأنت هارب في داخله. لأنه ليس من مكانٍ في البحر يَغِيب عن الرب.
إن هربت منه في اليابسة، تجده في جوف البحر، وإن ذهبت إلى موضع آخر يلتقي بك[1].
القديس مار يعقوب السروجي

البحر يؤدب يونان

❖ عاقب البحر يونان الذي ضلَّ الطريق، وأدَّبه كما يؤدب المُعَلِّم الصبي.
مُعَلِّم صامت لذلك التلميذ المملوء فهمًا، أرشده ليعترف بأنه ضلَّ فلا يضل بعدُ.
أوثقه بالأمواج، وعذَّبه بالعواصف، وكان صامتًا ومُهَدِّدًا وهو يعذبه لئلا يضل بعدُ.
تقاذفت الأمواج سفينة يونان، وكانت تُحرَس لئلا تتأذَّى من العواصف.

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 43-45.

كانت أمواج البحر تقذفها كالكرة، ويتناولها هذا من ذاك ولا تتأذَّى.

حين كانت تميل تسندها الإشارة لئلا تهلك، وحين كان يهاجمها البحر يسندها الحنان لئلا تتحطَّم.

نبحت الأمواج على يونان بصخبٍ حتى تتعطل الطريق لئلا يمشي فيها.

أرعبت هوة البحار العبراني، وأحاطت به المياه إلى النفس وكاد أن يهلك.

ريح شديدة هيَّجت البحر بالإشارة القوية، وترنَّحت الأمواج تحت الهارب لتطرحه (فيها).

أدركته اللجة، واصطادت الرجل التواق إلى الهرب، وتوقفت الطريق التي بدأ يسير فيها.

حبسته الإشارة على سطح البحار، وأُغلقت في وجهه ليُصطاد هناك حيث هرب من الله.

هبَّت عاصفة في غمر الماء وهيَّجته، وبلغ رذاذ الأمواج إلى الغيوم بخوفٍ عظيمٍ

هبَّت الريح على البحر وارتجف ابن أمتاي، واجتاح الخوف جُزرًا بعيدة وحيَّرها[1].

القديس مار يعقوب السروجي

أمواج البحر أهْوَن من أمواج الخطية!

حاول الملاّحون إنقاذ السفينة بإلقاء كل ما أمكن من أمتعة السفينة، لكن الثقل لم يكن في حمولة الأمور المادية، وإنما في ثقل الخطية التي ارتكبها يونان النبي بمحاولة هروبه من الله.

- لقد ألقوا من السفينة الأمتعة التي كانت في السفينة التي في البحر، لكن السفينة لم تَصِرْ خفيفة قط، لأن كل الحمولة بقيت داخلها، التي هي جسم النبي، الحمولة الثقيلة، ليس حسب طبيعة الجسم، وإنما ثقل الخطية. فإنه ليس شيء ثقيلاً هكذا ومُرهِقًا للغاية لا يُمكِن احتماله مثل الخطية والعصيان[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

في تصوير رائع **للقديس يعقوب السروجي** يُوَجِّه البحر أنظار يونان النبي ليرى أمواجه القاتلة

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 48-49.

[2] *Homilies on Repentance and Almsgiving 3: 8.*

للنفس أخطر من أمواج البحار التي قد تُدَمِّر الأجساد.

❖ أتفرَّس في العالم والبحر، فأقول إنهما اضطربا على يونان وعلى مُخَلِّصنا.

العالم شرير بأعماله أكثر من البحر بأمواجه. العالم مُضطرِب وثائر ومملوء ويلات لمن يُحِبُّه.

العالم مملوء حسدًا وغيرة عظيمة كالغمار العظيمة، وأمواجه هي الهوان والرياح هي الشتائم.

لستُ أقول إن يُشْبِه البحر، بل هو بحر، ولعل البحر يُشْبِه العالم قليلاً.

فالبحر تهدأ أمواجه في وقتٍ ما، أما العالم الشرير فيُقْلِقُ الداخلين إليه كل يوم.

الضلال بالنسبة للعالم كاللجج التي تُكَدِّر البحر. والإثم داخله كالأمواج بلا راحةٍ.

الخطايا داخل العالم الزمني مضطربة أكثر من الأمواج، وكل مجلس الناس مُضطرِب بمحارباتها.

ها أنا ساكن في بحريْن بسبب الموضوع الذي أبحثه؛ ربي ليكن صليبك مجذافًا تنشلني.

بك ينتصر من ينتصر على العالم – البحر، وبك أيضًا يصعد من ينجو من العواصف.

بك نجا يونان النبي الذي غرق، فقد مدَّ رمزك له يد (المعونة)، وصعد من العمق[1].

القديس مار يعقوب السروجي

أمواج العالم تضطهد مُخَلِّصنا!

إن كان يونان قد نام في السفينة، فهاجت الأمواج عليه، فإنه يحمل رمزًا للسيد المسيح الذي بالتجسد صار في أحشاء القدِّيسة مريم، يسلك في العالم لخلاص البشرية، فهاج اليهود عليه، بل وعلى السفينة التي يركبها، أي "القدِّيسة مريم".

❖ بيونان تصور طريق الابن (السيد المسيح) للناظر إليه، والبحر بالعالم الذي اضطهد مخلصنا.

تفجَّر الحسد من الصالبين كالبحر العظيم، وإثم الكهنة كان يعصف أقوى من البحر.

مهَّدَ ربُّنا طريقه في العالم ليمشي فيه، والتقاه الحسد كالعاصفة التي التقت بابنَ العبرانيين.

صارت مريم بالنسبة لقائد المسكونة سفينة متألِّمة، مُضطهَدة داخل العالم كما في جوف البحر.

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 49-51.

سفينة يونان ضربتها الرياح بسببه، وانهالت الشتائم على ابنة داود من أجل ربّنا.

ندعو مريم سفينة متألمة مملوءة بالخيرات، حاملة الكنز موضع الحسد (من اليهود).

كرز ربنا أكثر من يونان لكل الشعوب، وردَّ جميع المسكونة إلى التوبة بكلمته.

طريقه أعظم من طرق الأنبياء المتصوِّرين فيها، كما أن طبع الجسم أعظم من خياله.

التقاه الحسد من الصالبين الذين حسدوه، وكان (حسدهم) يشتد جدًا (كتصاعد) العاصفة على ابن أمتاي.

سلك يونان في هذه الطريق المملوءة آلاما، ولهذا ثار البحر عليه وهو هارب.

نزل ظِلُّ ابن الله إلى البحر، وهناك صوَّر صورةَ الآلام بين الأمواج.

كان يونان غارقا في مُهِمَّة ابن الله، ولهذا أحاطت به الأوجاع والآلام في الطريق الذي سلكه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

تصميم البحر على ابتلاع يونان!

ظن الملاّحون أنهم قادرون أن يسترضوا البحر بإلقاء كل مؤونتهم وبضائعهم التي في السفينة، لكن البحر لم يَقْبَلْ عن يونان بديلاً. إنه رمز للسيد المسيح، فإنه وحده القادر بموته أن يُخَلِّص جميع المؤمنين، ويُنقِذ الكنيسة – سفينة الله – من الدمار!

يُقَدِّم لنا **القديس يوحنا الذهبي الفم** حديثًا موجَّهًا إلى يونان الهارب، قائلاً له:

- أخبرني هل أنت هارب من السيد؟ انتظر قليلاً جدًا، فتتعلم من الأمور الحادثة نفسها أنك تعجز عن الهروب حتى من أيدي خادمه البحر (المُحِيط).

فإنه ما أن وضع يونان قَدَمَه على السفينة، حتى ثارت أمواج المُحِيط عاليًا وارتفعت جدًا.

إنه أشبه بجارية اكتشفت العبد رفيقها الهارب، لأنه سرق شيئًا من سيدها، فإنها لم تشمئز فقط... وإنما أخضعت الأفراد الذين أمسكوه لربوات من المتاعب حتى تقبض عليه وتَرُدَّه، هكذا وجد

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 51-53.

المُحِيط زميلها العبد وتعرَّفتْ عليه[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

في قطعة شعرية يكشف **الأسقف بولينوس أسقف نولا** عن ثورة الطبيعة على الهارب من وجه سيدها:

- بلا شك يُعَلِّمنا يونان أن البحر والكواكب تتحرَّك تحت قيادة الله ضابطها. فباطلاً الهروب من الله ضابط كل الأشياء الذي لا يمكن أحد الهروب منه، هذا الذي أثار غضب كل من السماء والبحر. الطبيعة التي تنتمي للرب القدير تحققت أن يونان كان مُتَمَرِّدًا، وخشيت أن تقوم بدور الاغتيال للرجل المُذنِب الهارب خلال سلطانها، لذلك قيَّدت الهارب بالرياح والأمواج[2].

الأب بولينوس أسقف نولا

- رأى الملاّحون البحر مُضطرِبًا فارتعدوا، ورأوا العاصفة ترتفع بقوة فتعذَّبوا.
رأوا مياه البحر مُضطرِبة بصورة غير اعتيادية، وتثيره ريح شديدة حتى تهيجه.
رأوا الرياح تُهَدِّدهم من كلِّ الجهات، وتنتصب الأمواج على سفنهم مُنتَقِمةً.
يُشْبِه البحر رجلاً غاضبًا ومملوءًا خصامًا وعبوسة ومُضطرِبًا ومحتدمًا بحقدٍ قويٍ،
رأى الملاّحون علامة الغضب في البحر وخافوا، وبدأوا يَدْعُون آلهتهم ليُعِينوهم.
ألقوا الأمتعة من السفينة في البحر وليس من فائدة، لأن ثقل يونان كان يضغط عليها ليُغَرِّقها.
رأوا أن الحرب وصلت بالحقيقة إلى النفس، فتركوا مقتنياتهم بسرعة.
حمولة السفينة التي جُمِعَتْ في مدة طويلة ألقوها كأنها لا شيء لأجل هدف.
لأن النفس محبوبة وأرادوا أن ينقذوها، ولهذا ألقى التعساء أمتعتهم في البحر بدون شفقة.
اعتبروا صعودهم من البحر عراة وبدون أذى كتجارة عُظْمَى في وقت الخطر...
طرح الملاّحون جميع الغِنَى الذي كان في سفينتهم، لأن حياتهم أثمن من جميع الغِنَى العظيم...

---

[1] *Homilies on Repentance and Almsgiving 3: 8.*
[2] *Poem 22.*

طرحوا الأمتعة كما تُطرَح الفريسة للأسد، ولم يهدأ البحر الذي كان يشتد ليهلكهم.

طالبت العاصفة بالثأر من ابن أمتاي، ولم تَقْبَلْ أن تأخذ شيئًا عوضًا عن شيءٍ.

طرحوا لها الغنى عوض العبراني، فلم تَقْبَلْ. لم ترضَ الأمواج بكنز السفينة عوض رجلٍ واحدٍ.

قدَّموا للأمواج الكثير، ولم تطلب إلا يونان...

أعطوا كل مقتنياتهم ولم يفوا شيئًا من ديونهم، لهذا طُلِبَ منهم تسليم يونان.

صاروا مساكين، وظلوا مَدِينين كما كانوا عليه، لأن البحر يطلب يونان ولا يتخلَّى عنه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يونان في قاع السفينة نائم!

يُقَدِّم **القديس چيروم** تعليليْن لنَوْمِ يونان: [بينما كان الآخرون في خطرٍ، إذا به في أمان ينام ويقوم. وبناء على طلبه وبسرِّ آلامه خلَّص الذين أيقظوه[2].] كما يقول: [لقد ظن الملاّحون أن السفينة بأمتعتها الطبيعية ثقيلة جدًا، ولم يدركوا أن الثقل قائم بسبب النبي الهارب. لقد خاف الملاّحون، فصرخ كل واحد إلى إلهه، إذ كانوا يجهلون الحق لكنهم لم يجهلوا العناية الإلهية. خلال تديُّنهم الخاطئ، عرفوا شيئًا وأدركوا بعض العمق الروحي... أما إسرائيل فلم يستطع الوسع ولا الألم أن يقوداه إلى معرفة الله. لذلك بكى يشوع على الشعب كثيرًا أمَّا عيون الشعب فكانت جافة.]

كذلك يُقَدِّم **القديس يعقوب السروجي** تعليليْن لنوم يونان العميق، إما حزنه الشديد على موقفه كهاربٍ من وجه الله، فأراد أن يهرب بالنوم من مواجهة نفسه، وإما لأنه كان يرمز للسيد المسيح في موته، أو للعامليْن معًا، أي الحزن مع تقديم النبوة.

لقد صرخ البحر ليَعِظَه، واعتصمت الأمواج وصممت ألاّ تتوقف حتى يقوم، ومع هذا لم يستيقظ.

❖ هاج البحر واعترى الملاّحون الرُعب، وابن العبرانيين نائم هادئ كأنه غير قريب.

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 53-63.

[2] *PL. 26: 25 In Matt 1.*

البحر يصرخ إليه، بأمواج عاتية: قُمْ من هناك، والرجل لم يتحرَّك من نومه الثقيل.
لم يطر نوم يونان بالريح الشديدة التي أقلقت البحر كله، لأنه كان نوم الألم.
صرخ أصحابه كل واحدٍ فواحدٍ إلى إلهه، وطال نومه في سُبَاتٍ عميقٍ.
أغرقه الألم، وجعل نومه ثقيلاً على أعضائه، واضطجع المُتألِم، ولم يعرف أن يستيقظ نهائيًا.
حطَّمته الكآبة وأخمده الحزن، وسقط عليه سُبَاتٌ عظيمٌ ليستغرقَ (في النوم)...
خاف لأنه هرب، وارتعب لأن البحر اصطاده، ومن الضيق حلَّ به النوم، هذا المملوء آلامًا.
في قاع السفينة حلَّ به الهَمُّ والقلق العظيم، هناك غرق، وبالنوم نسي حاله ولم يتحرَّكْ.
سفينته تطاردها الاضطرابات المُحِيطة بها، ويونان ساكت كأنه لا يعرف،
هل نام كثيرا بسبب الحزن؟ أم رَبَطَه السرّ روحيًا بالنوم؟
لعل ربنا صوَّر نومه في البحر، لأن (يونان) كان يحتفل بشبه الابن؟
في البحر صوَّر دفن الابن حين نزل في الأعماق، وهي طرحته في السفينة وطال نومه...
لعله لأجل ذلك نام يونان النبي في السفينة، إذ اضطجع ربُّنا وهاج البحر على التلاميذ.
هذا المثال ظهر في نوم يونان. صوَّر نومه نوم ربِّنا سريًا، لكي في كل شيء يرسم الطريق المملوء آلامًا.
من بين الكثيرين الذين كانوا في سفينة ابن أمتاي لم يُكتَبْ أن أحدًا غيره نام.
فمن أجل السرّ هو نام، وبالمثل أيقظوه كما أيقظ التلاميذ مُخَلِّصنا[1].

القديس مار يعقوب السروجي

لم يُدعَ الله الحقيقي وسط الآلهة الكذبة

إذ أيقظ رئيس الملاّحين يونان، فوجئ بالقبض عليه، فالبحر والأمواج والرياح تطلبه لتقتاده إلى ذاك الذي هرب منه!

في وسط التيارات العنيفة والنوء الشديد والخطر المحدق كنا نتوقع في الملاّحين أن يفقدوا

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 65-69.

سلامهم وهدوءهم، لكنهم أثبتوا أنهم حكماء. رأوا في يونان سرًا، سألوه عن كل حياته، طالبين معرفة الحقيقية. فكانت أسئلتهم توبيخًا لطيفًا استخدمه الله لإصلاح نفسه. ففيما هم يسألونه كان يليق بيونان أن يُراجِعَ نفسه في تصرُّفاتِه.

وكما قال **القديس چيروم:** [كان هدف القرعة أن يضغط الملاّحون عليه ليعترف بلسانه عن سبب هذا النوء وعِلَّة غضب الله]، أي ليعترف بعصيانه للرب وهروبه من ذاك الذي خلق البحر والبرَّ.

جاءت الأسئلة بالنتيجة المَرْجُوَّة، إذ اعترف قائلاً: "أنا عبراني، وأنا خائف من الرب إله السماء الذي صنع البحر والبرَّ".

يقول **القديس چيروم** أيضًا:

[إنه لم يقل "أنا عبراني" قاصدًا اللقب الخاص بشعبه الذي ينتمي إلى أحد أسباطه، إنما قصد أنه عابر كإبراهيم، وكأنه يقول: أنا ضعيف وراحل كسائر آبائي، وكما جاء في المزمور: "عبروا من مدينة إلى أخرى، ومن مملكة إلى شعب آخر..."

إنني خائف من الرب إله السماء وليس من الآلهة التي تضرعوا إليها، العاجزة عن الخلاص.

إنني أتضرع إلى إله السماء الذي صنع البحر والبرَّ، البحر الذي أهرب إليه، والبرّ الذي أهرب منه!]

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** الفارق الشاسع بين مشاعر الملاّحين ومشاعر يونان، فالأولون صرخوا إلى الآلهة الباطلة، لكن ليس من مُجِيبٍ. أما الأخير فاستيقظ ليرى الله قد حرَّك الطبيعة للقبض عليه. أدرك أنه أخطأ بهروبه، واستخف بالموت غرقًا في البحر عن أن يقاوم الله، ويرفض إرساليته.

- كُتِبَ أنهم صرخوا كل واحدٍ منهم إلى إلهه، والذين دعوهم ليسوا موجودين ليُعِينوهم.
  ذاك الذي إلهه هو الله كان نائمًا وصامتًا، وأولئك دعوا لكي بهذا يعظم الحق.
  لو أن يونان دعا معهم إلهه، من كان يدري من هو الرب الذي خلَّصهم.
  في نَوْمِ يونان أنجز التدبير ما يخصه، لكي يُذكَرَ إله واحد يتكلم وحده.
  اضطجع يونان، ودعا أولئك آلهتهم، انسحق هؤلاء وهو مُتنعِّم بنومه.

جعل ذلك ينام، فلا يدعو حين كانوا يَدْعُون، ولما انكشفوا واندفعوا ليوقظوه.
كانت إهانة عظمى للإله الواحد أن يدعوه يونان مع الآلهة مثل الآخرين.
لهذا كان نائمًا بينما كانوا يصرخون، فلا يُذكَر الإله الواحد مع الآلهة.
ولو كان يقظًا لما كان يقدر لا يدعو، وكان سيخلط اسم (الإله) الحق مع الكذبة.
يونان نائم وهم يدعون آلهتهم، ولا يوجد من يجيبهم لينقذهم من العواصف.
فتقدَّم رئيس البحَّارة إلى يونان وقال له: لماذا أنت نائم وسط الفَزَعِ المُحِيط بنا؟
استيقظ أيها الرجل، وانظرْ فإن البحر يُهَدِّدنا، وادعُ إلهك بحرقةٍ لكي يُعِيننا.
اتركْ نومك لأن الموت يُطارِدنا، فنحن مطلوبون لا أن ننام بل أن نموت.
أتى الموت، فليذهب النوم لأنه ليس بشيء، فالشر محتوم، ادعُ إلهك لعله يُخَلِّصنا.
صوت الأمواج تملَّك نفسنا، وأنت نائم. البحار مُضطرِبة وأنت لا تنهض من نومك.
لستَ غريبًا عن الألم الذي يضغط علينا: فالموت عام، استيقظ معنا فإنَّا نتعذَّب.
ادعُ إلهك لعله يستجيب ويساعدنا، حلَّ الغضبُ، قُمْ وتضرَّع حتى نخلص.
استيقظ يونان ونظر البحَّارة مُحِيطِين به، والأمواج تضج وترتفع، وتزلزل السفينة.
نظر الأمواج ثائرة ضده تُطالِب به، ذُهِلَ الرجل ولم يَعرِفْ ماذا يفعل.
أُصطيد الشقي، ولم يستطع أن يفلت. أحاطت به اللجة، ولم يعرف أين يهرب.
غارت عليه القدرة الخالقة لتظهر شدة الأمواج المرتفعة بعواصف البحر الهائل...
صغرت روحه هناك في عينيه بين الأمواج، فمن يهرب من ذلك القوي المُمْسِك للبحار ؟
مضى فكره الأول واستخف به بالأكثر، كيف يهرب من خالق البحار.
استنار بقوة بعمل الخليقة، وتعلَّم كثيرًا عن إبداع الصانع[1].

القديس مار يعقوب السروجي

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 69-75.

رُعْب الملاّحين أمام يونان

يقول **القديس چيروم:** [كأنهم يقولون: إنك تقول بأنه بسببك صار الريح والأمواج والبحر في هياج. لقد كشفتَ لنا عن سبب المرض، فأفصح عن الدواء. هوذا البحر يرتفع ضدنا، وعَرِفنا أننا صرنا موضع غضب لأننا أخذناك. أخطأنا إذ استضفناك، فماذا نفعل حتى يسكن غضب الله علينا؟ ماذا نفعل بك؟ هل نقتلك؟ لكنك من مؤمني الرب! هل نحتفظ بك؟ إنك هارب من الله! الآن ليس لنا إلاَّ أن نُنَفِّذَ أمرك، فلتأمر حتى يهدأ البحر، فإن اضطرابه يشهد عن غضب الخالق... لا يمكن التأجيل بعد أمام انتقام الخالق؟]

ويرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن الملاّحين ارتعبوا حين أدركوا أن البحر بقدرة عظمته يضطرب من أجل خطية إنسانٍ؛ تُرَى من يكون هذا الإنسان الذي بسببه يتحرَّك البحر؟ وما هي مدى خطورة خطيته؟ وما هو حجمها؟ لقد طلبوا منه أن يتحرَّك، فهو وحده يعرف كيف يُرضِي البحر الثائر عليه.

❖ نظروا أن بدا واضحًا أن من أجله اضطرب البحر، وكما بالفم صرخ البحر مُعلِنًا عمن يبحث عنه.

نظروا جميعهم في يونان كآنية مملوءة شرورًا، وتقدَّموا إليه يسألونه بعنفٍ.

ارتعبوا منه كما من وَكْرِ الحيات. وتفرَّسوا فيه بغضبٍ عظيمٍ:

أيها الرجل، أرنا بأي سبب حلَّتْ هذه الشرور العظيمة، وأدركتنا من أجلك.

قُمْ، أخبرنا ما هو عملك؟ وما هي أرضك؟ ومن أي شعب أنتَ؟ وماذا فعلتَ لتكون شريرًا هكذا؟

كم من الزمان اقترفت من الشرور حتى اضطرب البحر كله من أجلك؟

أيها الرجل يبدو أن إثمك أعظم من البحر، فلأجله تحرَّك ليهرب منك بقوة.

عملك كدَّرَ البحر كله، والأمواج والرياح صارت مُحِيطَة بنا.

هل شعبك هو شرير؟ أم أرضك مملوءة شرًا؟ أو أنت أشر من الأشرار بتصرفاتك؟

لو لم تكن شرورك عظيمة بلا كيل، لما اضطرب البحر جميعه من أجلك. لو لم يكن عملك أمَرَّ من كل الشرور المحيطة، لما كانت كل هذه العاصفة تُفَتِّشُ عليك!

ولماذا يُهَدِّدُ البحر ليُغرِقنا؟ لتَقمْ ولترضِ البحر الثائر إن كنتَ تستطيع، أو إذا لزم أخلِ السفينة لئلا تَبِيد[1].

القديس مار يعقوب السروجي

القُرْعَة تصرخ ضد يونان

صار يونان كمن في جبٍ حُبِسَ فيه، فالبحر والأمواج والرياح تشهد ضده، والملاّحون في السفينة يطالبونه بالتحرُّك، والقرعة أعلنت أنه هو سبب الكارثة! والآن لم يَعُدْ أمامه سوى الاعتراف أنه مُذْنِبٌ!

- قام يونان بين أمواج البحر الهائل، وترتطم به العواصف ويؤنبه الملاّحون.
صدر اتهام ضد النبي من كل الجهات، ونبذ طريقه وذمَّه كثيرًا وهو يؤنب.
البحر يُهَدِّد، والرياح عاتية، والأمواج مُرتفِعة، والعاصفة هوجاء، والغمر مُضطرِب والغضب مُحتدِم،
والسفينة مُطارَدة، والخوف اعترى الملاّحين، والنبي في وسط الاضطرابات، فماذا يعمل؟...
صرخت القرعة: هذا هو مُكَدِّر البحر جميعه. وقال أصحابه: قُمْ، اظهرْ لنا ماذا فعلت.
أحاطت به المخاطر داخل السفينة وخارجها، البحَّارة في الداخل، والأمواج مُحيطة به من الخارج...
مال على النبي الرمز وحبسه هناك كما في جبٍ، في مكانٍ عسيرٍ.
نزل عليه الضيق من كل جانب، فبدأ يعترف للبحَّارة بما فعل. سُئِلَ كمُذنِبٍ داخل بيت الحكم، وفضح نفسه أنه هارب من وجه الله[2].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 89-91.

[2] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 91-93.

البحر الذي خدم بني جنسي يلقي القبض عليَّ!

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [توقع يونان أن يهرب بواسطة السفينة، فإذا بالسفينة تكون له قيودًا[1].] ظن أنه قادرٌ على الهرب من إله البحر خلال سفينة، فأمسك به وسط المياه الثائرة داخل السفينة، ليحصره وسط الضيق، ويدخل به إلى التوبة. استخدم الله ذات الوسيلة التي ظنَّها يونان لهربه من يد الله لكي يمسك به ويرده إليه.

ما أجمل العبارة التي قالها **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [لم تكن هناك حاجة إلى أيام كثيرة، ولا إلى نصائح مستمرة، لكن في بساطة نقول كانت الحاجة أن يقودَه كل شيءٍ إلى التوبة (أي يستخدم الله كل الظروف لخلاصه). فالله لم يقده من السفينة إلى المدينة مباشرة، وإنما سلَّمه البحارة للبحر، والبحر للحوت، والحوت لله، والله لأهل نينوى، وخلال هذه الدائرة الطويلة ردَّ الشارد، حتى يعرف الكل أنه لن يمكن الهروب من يد الله[2].]

ويرى القديس **مار يعقوب السروجي** أنه إذ سُئِلَ يونان عن بني جنسه، تذكَّر أنه من بني إسرائيل الذين انشق البحر أمامهم، ليسيروا فيه في أمان، وتقهقرت مياه الأردن قُدَّامهم، ليَعْبروا إلى أرض المُوعِد! وها هو البحر ثائر ضده!

❖ بدأ النبي يتكلم بألمٍ عظيمٍ مُظهِرًا من أي شعب هو، ومن أي مكان كما سُئِلَ.

أنا عبراني من جنس إبراهيم، عبد أنا، مولود في بيت أدوناي (الله) الحقيقي.

أنا ابن جنس موسى الذي شقَّ البحر العظيم. ومن جنس إسرائيل الذي عبر البحر العظيم بدهشة.

أنا من جنس يشوع بن نون الجبَّار القوي الذي شقَّ نهر الأردن واجتازه.

أنا عبراني من الشعب الذي جاز بين الأمواج ماشيًا، ولم تَمسّه نقطة ماءٍ.

قبيلتي هي التي في وقتٍ ما قَهَرَتِ البحر وداست فيه كمثل اليابس، وجازت في طريقٍ وسط البحر.

---

[1] *Conc. Stat. 6: 14.*
[2] *Conc. Stat. 5: 19.*

جنسي هو الذي خرج من مصر، وارتجفت أمامه مياه البحر، وأعطته مكانًا للعبور.

سيدي هو الذي صنع الأرض والبحر العظيم، وله أعبد...

ومنه هربتُ، ولهذا اصطادني. هو يجعل الريح تَهِبُّ على البحر وخارجًا عنه. إن انتهر البحر يجعله كله يابسًا كأنه غير موجود... إلهي عظيم، ولأني خالفتُ وصيته أحاطت بي مَخَاوِف البحر هذه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

كرازة للملاحين الأُمميين!

يُعلق **القديس چيروم** على الكلمات التي نطق بها يونان مع البحارة، قائلاً: [إن هذا النوء يبحث عني، يُهَدِّدكم بالغرق لكي تمسكوا بي، وبموتي تحيون! إنني أعرف بالحقيقة أن هذا النوء العظيم هو بسببي... هوذا الأمواج تأمركم أن تلقونيّ في البحر، فتجدون هدوءًا... لنلاحظ هنا عظمة الهارب، فإنه لا يراوغ، ولا يكتم الأمر، ولا ينكر بعدما اعترف بهروبه من الله، وإنما يَتَقَبَّل العقاب بقلبٍ مُتَّسِعٍ. يُريد أن يموت ولا يتحطم الآخرون بسببه.]

وللقديس چيروم أيضًا تعليق جميل على كلمات يونان هذه بكونها نبوة عن عمل السيد المسيح – يوناننا الحقيقي – الذي قَبِلَ أن يموت ليفدي الشعب كله، إذ يقول: [يوناننا يقول: إنني بالحقيقة أعرف أن هذا النوء العظيم عليكم هو بسببي، فإذ تراني الرياح مُبحِرًا معكم إلى ترشيش، أي إلى "التأمل المُفرِح"، أقودكم إلى المجد، حتى حيث أوجد أنا هناك تكونون أنتم أيضًا عند الآب. لهذا يحدث غضب. العالم يبكي والطبيعة تضطرب! الموت يُرِيد أن يبتلعني لكي يقتلكم في نفس الوقت، وهو لا يدرك أنه يأخذني كطُعْمٍ، فبموتي يموت هو! خذوني إذن، واطرحوني في البحر!]

ويبرز **القديس يعقوب السروجي** حكمة يونان الروحية، فقد سأله الملاّحون عن شعبه وأرضه، أما هو فما كان يشغله إلهه. لهذا وإن كان كمن هو سجين وساقط تحت أيدي الطبيعة الثائرة والملاّحين، كشف لهم أن إلهه هو خالق البحر والبرَّ.

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 93-95.

في تواضعٍ وخضوعٍ لم يَثُرْ الملاّحون على يونان، بل أدركوا من هو إلهه، فسألوه كيف يُمْكِنُ للبحر أن يهدأ.

هرب يونان من خدمة أهل نينوى وتعليمهم لأنهم أُمميُّون، فإذا به يشهد لله وسط الملاّحين الأُمميين!

❖ أرسلني لأكرز لمدينةٍ وواحدةٍ تمرَّدَتْ عليه، وإذ لم ألبِ طلبه، أحاطتني المياه في مكانٍ عسيرٍ.

إذ لم أستحسن الطريق إلى نينوى، اصطادني البحر، وصار يزأر عليَّ، وأيضًا الأمواج تلطمني باضطرابات صراعاتها.

وإذ لم أُرِدْ أن أدعو الخطاة إلى التوبة، هوذا أمواج البحر تزجرني...

صار طريق يونان داخل البحر رِبْحًا، لأن الملاّحين صاروا حكماء بتعليمه.

لما سُئِلَ النبي أجاب بحكمةٍ، وبتمييز وفهم سمعوا له.

سألوه: أين هو شعبك؟ وأين هي أرضك؟ ولم يسألوه: من هو إلهك؟

فأضاف: إنني أعبد الله! اختار أن يُجِيبَ مُخْبِرًا عن الرب. افتخرَ أن سيده صانع البحر والأرض، لكي بهذا يتفاضل التعليم.

سمع الملاّحون كلمة النبي بإفراز، وأرعبهم الكلام الخاص عن الرب. فزعوا منه بعد أن تعلَّموا من هو سيده، وبلطفٍ تقدَّموا إليه بالسؤال.

علمنا، ماذا نعمل يا عبد الرب، وقُمْ اكشفْ لنا كيف يهدأ البحر.

شعبك مُختَار، وإلهك أعظم من الكل، أنت حكيم. ابحث لنا عن عِلَّةٍ نَخْلُصُ بها.

أنت تعلم أنه لا يستطيع أحد أن يعصى إلهك، بماذا ترى أن نَخْلُصَ وأنت معنا؟

انظرْ أيها الحكيم ماذا ينبغي أن نفعل الآن.

اطلبْ وعَلِّمنا ماذا نعمل، فإننا في انسحاقٍ، والبحر في فزعٍ يُعَذِّبنا[1].

القديس مار يعقوب السروجي

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 95-97.

يونان يطلب إلقائه في حبس البحر!

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن محبة الملاّحين ورحمتهم وبَّخَتِ النبي الهارب، وأن هؤلاء الوثنيين لم يريدوا أن يدينوا شخصًا مُعترِفًا بأنه مُخطِئ ومُذنِب، وقد أدانه البحر والرياح والقُرْعَة، بينما لم يبالِ هو بهلاك نينوى كلها.

❖ لقد أدرك قائد السفينة بخبرته أن العاصفة غير طبيعية، وأنها مُرسَلَة من الله، وأن المُحِيط الثائر أعظم بكثير من الخبرة البشرية، وأن يَدَيْ مدير الدفة لا نفع لها. في هذه الحالة، المطلوب هو القائد الأعظم، ذاك الذي يُدِيرُ العالم كله، وأن العون من فوق في غاية الأهمية. لهذا تركوا المجاديف والأشرعة والحبال وما إلى ذلك، وأوقفوا أيديهم ورفعوها إلى السماء وتوسَّلوا إلى الله[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

ويُعَلِّقُ **القديس چيروم** على موقف الملاّحين الرائع، فإنهم لم يسألوا عما فعله يونان ولا طلبوا من الله توضيحًا للمَوْقِف، إنما وثقوا في عدالة الله في أحكامه[2].

أبرز **القديس جيروم** في كتاباته الجوانب الطيبة في هؤلاء الملاّحين الوثنيين، منها أن السِفْرَ لم يذكر أن الملاّحين حملوا يونان وألقوه، إنما جاء في الترجمة السبعينية أنهم حملوه وأودعوه في البحر حسب حُكْمِه على نفسه. وأن البحر هدأ، لأنه كان يبحث عن هذا الهارب كمن يجري للقبض عليه ومتى أمسك به هدأ ولا يعود يجري، بل يبتهج أنه أمسك به[3].

[كانوا يريدون أن يسحبوا المجداف ويهزموا الطبيعة حتى لا يفضحوا نبي الرب... ظنوا أنهم قادرون أن يُخَلِّصوا السفينة من الخطر، ولم يضعوا في اعتبارهم الدور الذي يقوم به يونان أنه يجب أن يتألم.]

[عظيم هو إيمان الملاّحين، فقد كانوا في خطرٍ ومع هذا كانوا يُصَلُّون من أجل حياة الغير. عرفوا جيدًا أن الموت الروحي أبشع من الموت الطبيعي، إذ قالوا: "لا تجعل علينا دمًا بريئًا". يجعلون الله نفسه شاهدًا حتى لا يَتَّهمهم فيما لا يستطيعون عليه، وكأنهم يقولون له: لا نُرِيد أن نقتل نبيك، إنما

---

[1] *Homilies on Repentance and Almsgiving 3: 8.*
[2] *Cf. Against the Pelagians 2: 23.*
[3] *St. Jerome: Commentary on Joel 1: 15 (ACCS).*

هو أعلن عن غضبك عليه، والنوء أكِّدْ إرادتك يا رب، هذه التي نحن نُتَمِّمها بأيدينا].

ويرى **القديس مار يعقوب السروجي** أنه في حبٍ متبادلٍ، مع صراحةٍ، يتبادل يونان والملاّحون المشورة، كل طرف يطلب ما لصالح الطرف الآخر.

❖ قال يونان: احملوني والقوني في البحر فيهدأ، لأنه يُهَدِّد بأن يغرقكم.

بسببي صارت الأمواج عليكم اليوم، ولا توجد فرصة إن لم يأخذني البحر من بينكم.

إن لم تلقوني بين الأمواج لن يسكت. اطرحوني الآن عنكم، كفاكم فقد تضايقتم بسببي.

أنا الذي تعديت أمر ربّي، أسقط في البحر، فيزول الحزن عنكم...

أنا المذنب، يستريح البحر لما يبتلعني، وأما أنتم أيها الرجال، فسيروا إلى ميناء بأمانٍ عظيمٍ.

سأكون مثالاً للعالم كله والأجيال القادمة. الأمواج اصطادتني، والبحر حبسني، لأني حاولت أن أهرب...

سمع البحَّارة كلمة يونان المملوءة آلامًا، واغتموا له، وأرادوا أن يُنْقِذوه إن استطاعوا.

فكَّروا بمرارتهم أن يعودوا إلى الشاطئ، فلم يستطيعوا بسبب الأمواج المحيطة بهم.

جاهدوا مُقابِل الأمواج العاتية ولم تتركهم ثورة البحر ولا هدأ...

بكل الفرص حاولوا أن يعيش يونان، وهدَّد البحر (قائلاً): ما لم آخذه لن اهدأ، اتركوا الهارب واخرجوا واذهبوا حيثما تريدون، وألقوا من السفينة الرجل الذي أثار العواصف. فالسفينة تتحطَّم وتلطمها اللجج. وإن لم تطرحوا يونان منها لا تستريح.

مادام فيها، فالأمواج لا تتوقَّف عن الاضطراب. إن لم آخذه لا أَدَع السفينة تُبْحِرُ.

إن فكَّرتم في الإبحار إلى الشاطئ، اتركوا لي يونان، فأطلقكم في طريقكم. إن اشتقتم إلى الميناء لتستريحوا من الضيق، ليبقَ العبراني الذي ترك سيده، وأبحروا أنتم.

لقد عرفتم ما هي عِلَّة ضيقتكم، فلماذا تجاهدون بعد، فليس من وسيلة لخلاصه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 99-105.

العبد الهارب ينحني ويصمت!

قَبِلَ يونان الحُكْمَ عليه، وسلَّم نفسه للموت، ولم يكن أمام الملاّحين سوى الصراخ إلى الله، لكي لا يُطلَب دم يونان منهم!

صورة رائعة لأُمميّين وثنيّين يتعرَّفون لأول مرَّة على الله، فيطلبون مشورته ورحمته.

❖ تكلم يونان في وسط البحار ليساعد، وجمعت كلمة الرب الثمر حتى من البحر.

في ساعة رهيبة، توسَّط ووقف بين الأمواج، وصرخ الملاّحون إلى الله بألمٍ عظيمٍ.

تضرعوا بصلاة حزينة في ساعة الحزن بخوفٍ عظيمٍ (قائلين): "لا نهلك لأجل نفس ذلك الرجل".

العاصفة ترتفع، ورأس ابن العبرانيين مُنْحَنٍ، والبحر يزأر، ويونان صامت مثل مذنبٍ.

هؤلاء يُصَلُّون وهو لم يتكلم بسبب خجله، الأمواج تُطارِده، والرعب استولى على الكارز.

الصلاة مُسْرِعة ويونان ينتظر القصاص، الهارب مربوط، وساعة الدينونة تُهَدِّده بشدة.

العبد الذي هرب يقف مطأطأ (الرأس) وهو مملوء رعبًا، وكان يتعذَّب بالموج مثل مُتَمَرِّدٍ.

اقترب الملاّحون وسلَّموا القضية للربِّ، واقتادوا يونان بينهم مثل أسيرٍ.

أخذوه من السفينة بخوفٍ عظيمٍ، وكانوا يرافقونه مثل كئيبٍ بألمٍ عظيمٍ.

"يا عبد الرب هذا الأمر لا يعود إلينا، ربُّك هو له السلطان على البحر واليابسة كما عَلَمنا منك...

حمولتنا التي فُقِدَتْ لم تضايقنا مثل فراقك، ولو شاء ربُّك الذي له السلطان والمخوف، فمن يعصيه؟

لم نَحزَنْ لأن سفينتنا تحطَّمتْ بسببك، لقد حزننَّا لأننا حُرِمنا من مؤانستك. صرتَ مثالاً صالحًا لجميعنا، لأننا منكَ تعلَّمنا بأن للبحر ربًّا خفيًا يَسُوسه. لتكن كلمتك لنا خميرة صالحة وتُلَذِّذنا، وليثبت فينا طعم الحياة الذي اقتنينا إياه.

اذهب أيها العبراني، ليرافقك السلام بين الأمواج، وبحق دمك البريء لا نغرق نحن إذا ما

ألقيناك. لتوضع نفسك في يدَي ربّك، فلو شاء يُسَهِّلُ عليه إنقاذ حياتك من الأمواج[1]".

القديس مار يعقوب السروجي

استراحت السفينة المُضطهَدة من الأمواج!

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** في إلقاء يونان العاصي في البحر إشارة إلى طرد الخطية من سفينة حياتنا ليعود إلينا سلامنا الحق الذي نزعته آثامنا، إذ يقول: [اضطربت المدينة بسبب خطايا أهل نينوى، واضطربت السفينة بسبب عصيان النبي. لذلك ألقى البحارة يونان في العمق، فحُفظِت السفينة. لنُلقِ نحن أيضًا خطايانا فتبقى مدينتنا في أمانٍ أكيدٍ![2]]

ويرى **القديس چيروم** في إلقاء يونان في البحر إشارة إلى آلام السيد المسيح، التي نزعت عن بحرنا هياجه، وخلَّصَت السفينة ومن بها من الخطر. خلال آلام السيد المسيح امتلأ العالم سلامًا داخليًا فائقًا!

ويقول **القديس مار يعقوب السروجي** إنه إذ أُلقيَ القبض على الهارب، هدأت الطبيعة الثائرة عليه، لأنها حققت رسالتها. ها هي تُسَلِّمه في يد خالقها ليفعل به حسب أمره الإلهي. أما السفينة فاستراحت من اضطهاد الطبيعة لها، إذ طُرِحَ يونان من السفينة في البحر، وكأنها طفل حديث الولادة، خرج من رحم أمه، فاستراحت الأم من آلام الطلق.

- ❖ أخذوا يونان بعد [نُطْقِ] هذه العبارات، وألقوه في البحر، فهدأ من معركته.
حالاً هدأت حركة الأمواج الهائجة، لأن العبد الذي كانت تُلاحِقه قد اصطيد.
سكنت الريح التي أقلقت البحر العظيم، إذ قبضت على ذلك الذي أُمِرَتْ باصطياده.
هدأت العاصفة مثل تاجر أنهى طريقه، وبالرمز الخفي أحاط بالبحر أمانٌ عظيمٌ.
صمت صوت الهبوب والعواصف، وصار هدوء للسفينة المُطارَدة وللملاّحين.

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 111-113.

[2] *Conc. Stat. 5: 18.*

استراحت السفينة التي كانت العواصف تضايقها، مثل الوالدة التي تُنجِبُ طفلها وتزول أوجاعها[1].

القديس مار يعقوب السروجي

ازدادوا خوفًا من الله، ربِّ البحار!

يقول **القديس چيروم:** [عندما مات يونان الهارب في البحر، خلصت السفينة التي هزَّتها الرياح، وخلص عابدو الأوثان.] كما يقول: [قَبْلَ آلام الرب تضرَّعوا إلى آلهتهم تحت تأثير الخوف (1: ١٠)، أما بعد الآلام فخافوه بمعنى عبدوه ومجَّدوه... لقد خافوه خوفًا عظيمًا إي من كل النفس ومن كل القلب ومن كل الفكر (تث ٦: ٥؛ مت ٢٢: ٣٧). وذبحوا ذبيحة؛ بالتأكيد لا تعني المعنى الحرفي، إذ لا توجد ذبائح في البحر، لكن ذبيحة الرب إنما هي الروح الأصيل، وكما قيل: "قدَّموا للرب ذبيحة الحمد، أوفِ للعلي نذورك" (مز ٤٩: ١٤).]

❖ كما أن يونان قُدِّمَ قربانًا من أجل الذين كانوا في خطر من العاصفة، هكذا قُدِّم المسيح تقدمة من أجل الذين كانوا يغرقون في عاصفة هذا العالم.

وكما أن يونان قد أُمِرَ أن يكرز لأهل نينوى (يونان 1: 5)، إلا أن نبوته لم تبلغ إليهم إلا بعد أن قذفه الحوت، هكذا النبوة للأمم لم تبلغ إليهم إلا بعد قيامة المسيح[2].

القديس أغسطينوس

ويرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن الأُمميين استطاعوا أن يدخلوا بيت الله، وهم في السفينة في وسط البحر، وقدَّموا ذبائح تسبيح وشكر مقبولة لدى الله، وتمتَّعوا بمخافة الرب التي حُرِمَ كثير من شعب الله أنفسهم منها.

❖ نظر الملاّحون إلى البحر، وقد سكت من عواصفه، فازدادوا خوفًا من الله ربِّ البحار.

رأوا عمليًا أن رمز الرب أرعب اللجج، لأن قوته العظيمة تُدَبِّرها برمزها الخفي.

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 115.

[2] *Letter 102: 6.*

تحققوا من الأعجوبة الحادثة أن العواصف تلاحق يونان.

أدركوا العمل بإفرازٍ أن الرب قد أمر أمواج البحر فأطاعته كالإماء.

تحققوا بإيمان بربِّ البحار، فذبحوا ذبائح، ونذروا نذورًا بحبٍّ عظيمٍ.

دخلوا إلى أهل بيت أدوناي (الله) والتجأوا إليه، وبدأوا يذبحون ذبائح كاملة هناك.

أضرمهم حبُّ الرب الذي تتلمذوا له، وبنذورهم تقدموا له بحبٍّ. هدأت الأمواج، وصار هدوء على الملاّحين، وزال الخوف وهناك كثرت الذبائح والنذور[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يونان يُصَوِّرُ مثال ابن الله!

قدَّم لنا يونان صلاته الرائعة، بل تسبحته النبوية الفريدة، لا في لحظات الوسع، لا في داخل مبنى الهيكل كمُعَلِّمٍ، إنما وسط الآلام كمن هو في قبر السيد المسيح المصلوب. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [ليتنا لا نهتم بالمكان، وإنما بربِّ المكان، فقد كان يونان في جوف الحوت، واستمع الرب لصلاته. وأنت إن كنتَ حتى في الحمامات فصلِّ. أينما وُجِدَتَ صلِّ؛ لا تطلب المكان لتُصلِّي فيه، فإن نفسك هي هيكل[2].]

ويرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن يونان خضع للحُكْمِ بالموت الصادر منه بإرادته حتى لا يهلك النوتية الأُمميُّون، فتجلَّى قُدَّامه المسيَّا المُخَلِّص، القادم إلى العالم ليموت بإرادته عن البشريَّة.

تحوَّلت الضيقة إلى نبوةٍ إلهيةٍ ورمزٍ فائقٍ، سكب على نفس يونان تهليلاً. لم يبالِ بموته، لأنه صار رمزًا لواهب الحياة الذي يموت ليُقِيمَ الكل.

سمع الصوت النبوي في أعماقه يهبه طمأنينة وسلامًا، فإنه إذ كان رمزًا للسيد المسيح واهب الحياة، يموت معه ويقوم، ولا يكون للفساد سلطان عليه. رأى نفسه وهو يُلقَى في وسط المياه إشارة إلى نفس السيد المسيح التي انطلقت تكرز للذين كانوا في الجحيم.

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 117.

[2] *PG 63, Eclogue on Prayer.*

❖ نزل يونان ليُصَوِّرَ مثال ابن الله، ويكون آية لموت الابن بين الغمار.

صرخ إليه السرُّ: انزلْ وجسّ الأعماق، لأن ربَّك يأتي، وينزل يجسُّ أعماق الجحيم ويفرغها.

ولتكن مثالاً لابن الله الحيّ، لأنه ينزل إلى هاوية الأموات كالغواص.

تعالَ، وكُنْ في البحر ميتًا حيًا على غير العادة، فإن مُحيي الجميع هو أيضًا يموت ويُقِيم الكل!

اغْطَسْ، وانزلْ، ومَهِّد الطريق في قلب الأرض، لأن سيدك قادم ليَنزلَ إلى أسافل الأرض.

ليغمرك البحر، ولتكن مدفونًا بغير فسادٍ، لأن هذا ما يحدث في قبر سيدك عندما ينزل إليه.

مُتْ وأنت حي، ولا يصبك الفساد، لأن الفساد لا يَحِلُّ بسيدك الذي هو أيضًا سيموت.

كن جاسًا أعماق البحر العظيم، وفاحصًا، لأن سيدك سيجسُّ بحيرة الأموات عندما ينزل إليها.

صوِّرْ لنا مثال الميت الحيّ الذي لا يفسد، لأن هذه الآية لا تظهر إلا في سيدك.

انزل إلى اللجة، ومهّد السبيل أمام ابن الملك، لأنه بموته الغافر سينزل ويجس الأعماق.

اغطسْ أيها العبراني في لجة البحار، وكن آية لابن الله، لأنه يغطس في الجحيم ويفرغها.

نزول يونان إلى البحر يُشْبِه كثيرًا نزول ابن الله إلى مثوى الأموات.

بنزول يونان داخل البحر سكنت الأمواج كما استراح الصالبون بموت ابن الله...

صرخ البحَّارة من أجل يونان إلى الله ألا يهلكوا بدم الرجل البار،

وأيضًا غسل الحاكم البار يديه من أجل ربنا لئلا يتلطخ بدمه الطاهر الزكي.

طلب الملاّحون أن يرجعوا إلى الشاطئ، ولم يستطيعوا أن ينقذوا العبراني من الغرق.

وجادل أيضًا الحاكم كثيرًا من أجل مُخَلِّصِنا، ولم يَقْدَرْ أن يُعِينَ ذاك البار[1].

القديس مار يعقوب السروجي

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 117-121.

وديعة في بطن الحوت!

كُتِبَتْ أحداث يونان وأخنوخ وإيليا لأجل تعليمنا (1 كو 10: 6). وكما يقول **العلامة ترتليان** [كُتِبَتْ لكي نؤمن أن سلطان الرب أعظم من كل القوانين الطبيعية الخاصة بالجسم[1].] يراه **القديس يعقوب السروجي** وديعةً محفوظة في جوف الحوت. حيث لا يوجد رجاء يتجلَّى قُدَّامه الرجاء في الرب، وحيث وُجِدَ الموت تلامس مع الحياة الجديدة المُقامَة!

❖ حينئذ أعد الرب حوتًا كما هم مكتوب، وابتلع يونان ليطوف به بين الأمواج.

حُوت عظيم قبله في دهشة، حفظه كوديعةٍ، حتى لا تلطمه الأمواج المحيطة به. في المكان الذي ليس له فيه رجاء مُطلَقًا التقى به الرجاء، ومن داخل الموت نبعت الحياة برمزٍ خفيٍ.

في الموضع الذي ليس فيه ساتر ولا مُخَلِّص، سَتَرَه الحنان، لينشل حياته من الهلاك[2].

القديس مار يعقوب السروجي

سفينة جديدة مُدهِشة وفريدة!

يرى **القديس يعقوب السروجي** في الحوت الفريد، الحامل يونان في جوفه، صورةً رائعةً لمراحم الله العجيبة.

صار له الحوت **سفينة جديدة مُدهِشَة**، يُحَوِّطُ بها الرب ويحميها كما تحت جناحيه، راكبها لا يُصِيبه أذى، لا تُحَرِّكها الرياح، بل روح الرب الذي يهب البشريَّة الميلاد الجديد في مياه المعمودية.

صار الحوت **بيتًا فريدًا**، ليس مؤسسًا على الأرض، بل سائرًا بين الأمواج، لكن لا يفزع من ساكنه.

رآه **قبرًا جديدًا**، يضم شخصًا مائتًا وحيًّا في نفس الوقت، تحرسه قوة الله واهب القيامة.

رآه **هاوية، تحمل ميتًا تهبه حياة.**

رآه **حجال العرس المُتَحَرِّك**، يضم في داخله عريسًا يَتمتَّع بوليمة الآلام خفية.

---

[1] *On the Resurrection of the Flesh, 58.*

[2] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 123-125.

رآه أشبه **بِرَحِم فتاة بتول**، حملت به دون زرع بشر، دخل إليه خلال فم (الحوت).

رآه يسلك **طريقًا جديدًا**، يسير في الأعماق، فصار يونان سائرًا في طريقٍ لم يسلكه أحد من قبل، ولا سمع عنه أحد.

صار الحوت **قصرًا ملوكيًا**، يسكنه عريس ملك.

صار الحوت **سجنًا**، يحبس دون أن يؤذي، يضم مع السجين الحياة رفيقة له.

أخيرًا يُقَدِّم القديس **مقارنة بين المقبوريْن:** يونان النبي ومُخَلِّصه يسوع المسيح، إذ دخل كلاهما القبر؛ وقدَّما الحياة للآخرين.

❖ سار يونان في الطريق المخوف بلا رفيق. وتبعته الرحمة وصارت في صحبته في موضع القنوط.

التصق به الحنان ليحفظ حياته من الهلاك، وبدأ يسير في طريق جديد لم يُسلَكْ.

لحقته جوقة الرحمة في مَضِيق البِحَار، أسرع في طريقه في موضعٍ مُخِيفٍ بلا جزع.

وحيث ليس منقذون ولا حُرَّاس، حفظ الرمز ابن العبرانيين حتى لا يفسد.

بلغته القُرْعَة لينزل ويجسَّ أعماق الأرض، وكانت الأسرار الخفية تحرسه لئلا يهلك.

سفينة جديدة اقتناها يونان لم تنكسر، وجلس وسار في قلب البحر بسرعة.

سفينة مُضطرِبة تغوص وتجسُّ أعماق البحر، وحمولتها محفوظة لا يبلغها أذى.

سفينة تجري لا بواسطة الرياح على وجه المياه بل **بالحميم داخل المياه** بغير ملاّحين.

سكن في بيتٍ يسلك بين الأمواج في دهشةٍ، وعندما يتمايل لا يفرغ ما فيه، لأنه بيت عجيب[1].

القديس مار يعقوب السروجي

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 125.

قبر يستريح فيه الأحياء!

إذ سخر **بروفري** من قصة يونان بكونها دُعَابة مُضحِكة، كتب **القديس أغسطينوس** أنه إن خشي المسيحيون من سخرية الوثنيين بقصة يونان لا يمكن قبول قيامة المسيح في اليوم الثالث[1].

- **قبر جديد**، تَحْمِلُه قوة عظيمة، كان فيه مائتًا حيًا، تَكْمُن فيه قوة خَفيَّة.

جحيم يحمل ميتًا، ويَسْبَحُ بين البِحَار، وينبع منه حياة مُدهِشة بقوة عظيمة.

ميتٌ، حلَّ به الهلاك ولم يَفسَدْ، هو حيٌّ لم يَمُتْ، طمروه ودفنوه!

عريس جديد، صار له الحوت كالخِدْرِ المُتحرّك، اختفى فيه ليَتمتَّع بوليمة الآلام التي بدأ فيها.

طفل جديد دخل إلى بطن أمه من الفم، وصار كمن حُبِلَ به بغير زواج بدهشةٍ عظيمةٍ.

طريق يونان مملوء دهشة لمن يَتفرَّس فيه، والميمر الطويل هو قصير عاجز عن أن يُعَدِّدَ جماله.

تتقهقر الكلمة من قبل ابن العبرانيين، لأن طريقه عجيب، ولا يوصف إلا بالعقل.

لو وُصِفَ ميمره فإنه يُشْبِه البحر، وأظن بأن موضوعه أوسع من البحر. رجل لم يخنقه البحر الذي ألقوه فيه، وميمره هو لجة، لأنه غلب اللجة التي هبط إليها.

هذا الذي سَبَحَ في كل البِحَار ولم يتبلّل، وأحاطت به المياه حتى النفَس ولم تؤذه...

إنه نبي عجيب وفريد في فعله، لأنه لم يَمْشِ أحدٌ تحت البحار سواه.

فتح **سبيلاً جديدًا في قلب الأرض**، وسار في العمق في المكان الذي هو بعيد عن الملاّحين.

جاز في أماكن لم يُسمَعْ عن أحدٍ قد درسها منذ البداية سواه. نزل إلى الأعماق، وافتقدها هذه التي لم يفتقدها أحد، وسكن تحت الغمر، فمن يُشْبِهه؟...

إنه الشيخ الذي **صار جنينًا من جديد في أمعاء الحوت**، ووجد الحياة بدون تنفس في موضعٍ ضيّق[2].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] *Letter 170: 6.*

[2] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 125–129.

حوت أم قصر ملوكي؟

❖ أتكلم عنه بتمييز وأنا مُندهِش، لأن الموضع الضيّق حيث حلَّ فيه كان واسعًا عليه.

صار له الحوت **كقصر المملكة**، وسكن فيه بسعادة كما لو كان في خدر...

رمز القدرة الخالقة العظيم وضعه هناك، وأعطاه التنفس حتى لا يؤذيه الموضع الضيّق...

الحكيم الصانع هذا بحكمته حفظ العبراني في بطن الحوت، وإذ لم تكن هناك إمكانية للحياة أعطاه الحياة.

وصنع له تَنَفُّسًا، كما لو كان في بيتٍ كبيرٍ.

وكمثل الأجِنَّة المضغوطين (في رحم أمهاتهم) بغير تضييق.

وضعه في حبس جوف الحوت دون أذية، وبلطفٍ أدخل الحياة وحبسها داخله...

دُفِنَ يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام، ليُفَسِّرَ به طريق ربّنا نحو القبر.

النبي في الحوت، ورب الأنبياء اختار بالموت أن يُحيي الكل.

لم يَحِل بالمدفونين الفساد من الهلاك.

ميّتان صارا سبب الحياة بأفعالهما: يونان لنينوى، وابن الله للأرض كلها.

صارا غطَّاسَيْن ومن العمق أخرجا الغنائم، وميّتَيْن عَجِيبَيْن نبعت منهما حياة جديدة.

غطس يونان وأنقذ نينوى من العمق، وغطس أيضًا ربنا وأنقذ آدم من الهاوية،

دُفِنَ يونان في قبرٍ كان مرسومًا بدفن المسيح. هذا السرُّ أنزل ابن العبرانيين إلى البحر.

قول عجيب وصمت مُدهِش للمدفونين، يونان حي، ورب يونان يُحْي الكل!

أين نظرتم مقبورًا يُصَلّي إلا يونان؟ ومن كان مقتولاً يُحْي الموتى سوى ربّنا؟

بهذا الطريق المملوء أسرارًا أسرع يونان، ومن أجل هذا فإن الحديث عنه أعظم من أن نتكلم عنه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 129-137.

هيكل مقدس، ودير جديد، وسماء مخفيَّة!

كان يونان في موقعٍ مُدهِشٍ، لم تطأه قَدَمُ إنسان من قَبْل، فقد ترك الهيكل في أورشليم، ليجد الحوت **هيكلاً مُقدسًا**، يُقَدِّم فيه ذبائح التسبيح.

ترك بني جنسه، **ليَقْطُنَ كما في ديرٍ** يمارس حياة العبادة كمتوحدٍ لا يشغله إلا الله محبوبه.

ارتفع **كما إلى السماء** عَيْنِها، ليشارك السيرافيم والكاروبيم تسابيحهم!

❖ كمثل باكورة تصعد الصلاة من الأعماق. قدَّم الطلبة داخل السجن المُلقَى فيه.

وأرسل لديَّان العالمين إلى مقرِّه السامي، أخذ يقول: دعوتُ الربَّ في حزني واستجاب لي.

اضطجعتُ وسمعني من داخل الأعماق التي هبطتُ إليها. وضعني الموت في بطن الجحيم وأنتَ حرستَني.

أحاطت بي البِحَار ودبَّرتني بدون مجاديف، وحبستني في العُمْقِ وها قد ألقيتني في البحر.

هبطتُ إلى البحر وحسن لديك أن لا تُمِيتَني، وابتلعني الموت وها قد أحييتني في فمه.

غمرتني المياه، وبفضلك لم تخنقني. جازت الأمواج على حقارتي واللجج العظيمة...

ملأتني بالدهشة، لأن في مقر الموت التقطتني الحياة. ولما هلك رجائي بالكمال، أنت أوجدتَني.

من داخل البحر لساني يُسَبِّحك بغِنَى. وفي قاع البحر أُرَتِّل لك بتمييزٍ.

تركتُك يا سيدي داخل أورشليم عند التابوت، ووجدتُك تحت الأرض تُدَبِّر لي.

أنت فوق البحار وتحتها وفي داخلها وخارجها، فالعلو والعمق وكل الاتجاهات تُمَجِّدك!...

في دير جديد أسكنتني تحت الأرض. أُرَتِّل لك بأصوات التمجيد من أجل عظمتك.

من داخل الموت أُمَجِّدك أيها الرب الصالح، ويضفر لك فمي إكليل المديح وسط الهلاك...

جنس الأسماك والحيوانات التي في جوف البحر تُقَدِّم لك تمجيدًا جديدًا في دهشٍ عظيمٍ بسببي.

سُبل البحار ترتعد بالتمجيد لقوتك العظيمة، بسببي، يا مُحيي الكل بحكمتك.

هنا ليس من خراف ولا ثيرانٍ للقربان، فأُقَدِّم أصواتي ذبائح كاملة ترضيك...

كمثل مَنْ في البيت المقدَّس (السماء) صلَّى في داخل الحوت إلى الله، وكمثل من هو بين

الكاروبيم دَوَتْ صلاته[1].

القديس مار يعقوب السروجي

كاهن من البرّ وهيكل في البحر!

يقول **القديس چيروم:** [صار الربُّ كمن هو في موقفك (مطرودًا)... حتى يرفع البشرية، لتكون معه حيث يكون هو (يو ١٧: ٢)]. إنه يمارس عمله كرئيس للكهنة الأعظم، يدخل إلى هيكل قُدْسِه السماوي، حاملاً كنيسته إلى السماويات عينها، كقول الرسول: "لأن المسيح لم يَدْخُلْ إلى أقداس مصنوعة بيدٍ أشباه الحقيقة، بل إلى السماء عينها ليَظْهَرَ الآن أمام وجه الله لأجلنا" (عب ٩: ٢٤). ففيما هو مطرود من أجلنا، يحملنا فيه لنكون موضع رضى الآب وسروره. لم يكن يونان بالكاهن ليَدخلَ القدس، ولا رئيس الكهنة ليَنعمَ برؤية قُدْسَ الأقداس مرَّة واحدة كل سنة، لكنه في أعماق البحر، إذ صار كمطرودٍ حُسِبَ رمزًا للسيد المسيح المطرود والداخل إلى مُقَدَّساته السماوية، وكما يقول **القديس چيروم:** [في أعماق البحر يرى هيكل الربِّ، وبروح النبوة وجد نفسه هناك يتأمل شيئًا آخر.] ويقول: [إنه ككاهن يترجَّى تحرير الشعب في جسده.]

ويقول **القديس أمبروسيوس:** [مثل يونان عندما كان في بطن السمكة، صلَّيتُ إليك من أجل الشعب[2].]

تُرَى ماذا رأى القديس يعقوب السروجي في يونان؟

تارة يراه **ربَّان سفينة** مُدهِشَة، وأخرى **ميّتًا في قبر** في صحبة الحياة الجديدة، و**عريسًا** حجاله مُتحرّك، يَتمتَّع بوليمة فريدة مُفرِحة، و**جنينًا** في رَحِم أم بتول، و**ملكًا** يقطن في قصر عجيب، و**سجينًا** في داخل حبس لا يؤذَى من فيه. والآن يراه **كاهنًا** قادمًا من البرِّ ليكهّن في أعماق البحر، في **هيكلٍ** ليس من صُنْعِ بشرٍ.

❖ يا للعجب! الكاهن يُصَلِّي بإطالة، وهيكله يَسْبَحُ بين الأمواج بسرعة!

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 141-147.

[2] *The Prayer of Job and David 6: 25.*

المذبح داخل الحوت، والصلاة ترعد عوض القرابين، وقُدْسُ الأقداس لم يَدْخُلْ فيه إلا واحد (رئيس الكهنة).

هيكل لم يُشَيِّده إلا من هو مولود في داخل المياه. جاء الكاهن من اليابسة ودخل وقدَّس فيه.

في الخيمة يوجد هرون، وعلى رأس الجبل إيليا، وفي الهيكل سليمان، وفي داخل الحوت يونان النبي.

إنه مَذْبَحٌ بتوليٌ لم يدخل أحد يكهن فيه منذ دخله الكاهن البهي بالخدمة الفريدة[1].

القديس مار يعقوب السروجي

استجابة الصلاة!

"**وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البرِّ**" (يونان 2: ١٠). يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الله قدَّم ليونان دروسًا متوالية في الترفُّق بالآخرين، فإن كان الحوت قد ابتلعه ثم قذفه دون أن يؤذيه إلاَّ يليق به أن يترفق هو بإخوته في البشرية وإن كانوا أُمميين؟! "لقد استقبلته الأمواج ولم تخنقه، وتلَقَّفه الحوت دون أن يُهلِكَه. بهذا كان يليق بالنبي أن يكون رقيقًا ورحيمًا، لا أن يكون أقسى من الحيوان المُفترِس أو البحَّارة الجهلاء أو الأمواج العنيفة[2].

ويرى **القديس چيروم** أن تعبير "**قذف**" يُشِير إلى الحياة المُنتصِرة الخارجة من حيث يوجد الموت، فلم يكن مُمْكِنًا لجوف الجحيم أن يمسك بيوناننا ولا بالفساد أن يَلْحَقَ به. وكما يقول المُرَتِّل: "لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيك يرى فسادًا" (مز ١٦: ١٠). لقد قام من بين الراقدين كباكورة لنا، يُقِيمنا معه، وكما يقول **القديس چيروم:** [الذي مات لكي يُحَرِّرَ المَسبيين من رباطات الموت يقدر أن يقود الكثيرين نحو الحياة.]

❖ مُدهِش هو إبداع الرب. إن كان قد غُمِرَ (يونان) في البحر، قذفته الأمواج دون أن تؤذيه وإن كان قد أُفترِسَ عاش، ولم يتغذَ الحوت الذي ابتلعه بالطعام الحي (الذي لجسم يونان). كان غنيمة

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 147.

[2] *Conc. Stat. 5: 18.*

لكن لم يكن مأكلاً للحوت، بل استخدم بطنه كبيتٍ له. يا له من سجن حسن للقديس الهارب من الله! لقد أُلقي بالقبض عليه بذات البحر الذي أراد أن يهرب به.

نُقِلَ إلى بطن الوحش الضخم، وسُجِنَ في سجن الأحياء. أُلقي من السفينة للهلاك، لكنه سَبَحَ على المياه، كمَنفِي من الأرض، وضيف للمياه المالحة. لقد صار جسم الحوت كهفًا، كان سجينًا مسبيًا وحرًا. كان مُتحرِّرًا يعلو على الأمواج، إذ كان يعوم وهو في هذا الحوت، في داخل البحر وخارجه. مع كونه محصورًا جسديًا فقد انطلق النبي وعاد إلى الله.

كان جسمه محصورًا بجسم (الحوت) العظيم، لكن رباطات الأرض لم تَعُقْ انطلاق عقله.

مع كونه مُغلَقًا عليه في تلك البطن حطَّم سجنه بالصلاة التي بلغت أذني الله... لقد آمن أن الرب معه، حتى وهو في ذلك الحوت المغمور في البحر[1].

الأب بولينوس أسقف نولا

- عندما صلَّى يونان في بطن الحوت أنقذ حياته من الفساد[2].
- هل ظن يونان أن التوبة غير لازمة بالنسبة للوثنيين (الأشوريين) الذين من أهل نينوى، عندما أراد أن يتجنَّبَ القيام بواجبه من جهة الكرازة؟ أم بالحري سبق فرأى أن رحمة الله تنسكب حتى على الوثنيين، ولذا خشي أن هذا يجعل منه نبيًا كاذبًا؟ بالحقيقة كان ذلك بسبب أن المدينة الوثنية التي لم تكن بعد تعرف الله، والتي أخطأت عن جهلٍ فتُسَبِّب خسارة للنبي، وفي هذا إذ تألم صار رمزًا لآلام الرب، التي بها يخلص الوثنيون التائبون[3].

العلامة ترتليان

- حيث أن الله القدوس يَعِد الذين يترجونه أن يفلتوا من كل ضيقةٍ، فإننا حتى إن أُلقينا في وسط بحار الشرور، وأرهقتنا الأمواج القوية الثائرة ضدنا بأرواح الشر، فإنه لن تخور غيرتنا للكنائس، كمن في عاصفة، عندما تعلو الأمواج ونتوقع الدمار. إننا نبقى مُتَمَسِّكين بغيرتنا قدر المستطاع، مُدرِكين الحقيقة أن الذي أُبتلع بواسطة حوت تأهل للأمان، إذ لم ييأس من حياته، بل صرخ للرب.

---

[1] *Poem 24: 205.*
[2] *Constitutions of the Holy Apostles 2: 3: 22.*
[3] *On Purity 10.*

إذن، إذ تحلُّ بنا أقصى الشرور لا نفقد رجاءنا في الرب بل ننتظر ونرى عونه من كل جانب[1].

القديس باسيليوس الكبير

❖ يا للعجب! حين لفظ صلاته في جوف الحوت صعدت، لم يوجد شيء يُعِيقها.
لقد شقَّت اللجج ولم تعقها العواصف، وتطير إلى الأعالي ولا يغرقها العمق الهائل.
زاحمت ودخلت وسط الملائكة ولم تُمنَعْ. التقي بها صفوف النارِيين ولم تُزجَرْ.
يداها كانتا مضمومتيْن، وصرخت بألمٍ قُدَّام العظمة الإلهية. أحنت رأسها، وسألت الرحمة من الحنان الإلهي.
اضطربت ورعد صوتها بالتضرُّع بقيثارتها الحلوة، ونطق فمها يطلب الرحمة.
ذاك الذي ألقيته في الحوت الكبير، كما لو كان في سجن، يتوسَّل لتفتح بوجهه لو تأمر.
ذاك الهارب الذي لم يُطلِقْ سبيله كما ظنَّ، أنه مُلام ومُعذَّب، وعطشان لتُرسِل له الرحمة.
ذاك المدفون مثل ميت في اللجة في جوف الأرض، ينظر إليك لتُقِيمَه لو شئتَ.
ذاك الذي صار له الحوت قيدًا له وألقيته فيه، وهناك ربطته، كما لو كان بقيدٍ، لأنه كان قد هرب.
ربِّي، لقد أذنب: مُرْهُ ليأتي ويرى وجهك، وافتحْ الحبس وأَطْلِقه ليَخرجَ من الظلمة.
الثمرة التي أرسلها يونان من جوف الحوت شهية: صلاة صعدت كباكورة لرب الأعالي.
كانت باكورة، لأنها ظهرت له جديدة، واشتاق الملائكة لاستقبالها بالحبِّ لكونها محبوبة.
بعيد هو الموضع الذي أتت منه، وهي جميلة، لأنه من صلَّى تحت الأرض إلا يونان؟
أتَت من الغربة مثل عروس مملوءة جمالاً، وتعجَّب من بهائها مستيقظو العلى.
إنها أنشودة تعلو من العُمْقِ منفردة، ولا يوجد مثلها قبلها ولا بعدها.
إنها لحن أطلقه عبراني في قلب الأرض، وصعد وبلغ إلى قمة الأعالي بعجب عظيم.
إنها عنقود المجد، قطفه يونان من جوف الحوت وأرسله، وتعجب مستيقظو العلى من طعمِه الحلو.

---

[1] *Letter 242.*

وضع يونان عطر البخور ليس على النار، بل في المياه، وبرائحته أبهج السماويين.
صلاة طاهرة، رائحتها أطيب من العطور، وحبٌّ مُضطرِم أكثر من جمرات اللهيب.
فَمٌ مُقَدَّس أكثر من مبخرة الذهب الخالص، ونبي الأسرار الذي كله عجب لمن ينظر إليه.
كانت صلاة يونان تُسمَع من العمق، ولفظها الخفي كان يُقبَلُ من قِبَلِ سامع الكل.
صرخ النبي بألم شديد من جوف الحوت، وفي موضعه السامي أنصت الرحوم إلى صوت طلبته.

دخلت الصلاة، وأخرجت معها الحنان العظيم، ليجلب من الهلاك الرجاء لمن ليس له رجاء.
رمزُ الحياة قطر على الميت، فقام ليصعد من القبر بعد ثلاثة أيام.
أمر الرب الحوت العظيم بالرمز الخفي، وأخرج ابنَ العبرانيين إلى اليابسة وهو غير فاسد.
مُقِيم الموتى أمر القبر وأعاد الميت، وأشار إلى الجحيم وتقيَّأ طعامه كما ابتلعه.
خرج السجين من الظلام ونظر النور، إنسان جديد وُلِدَ من المياه على غير العادة.
وَلَدَه الحوت كطفلٍ جاء من الظلام، واستقبلته اليابسة كمولودٍ من مرضعة.
صعد كما نزل، ولم يفسد في بطن الجحيم. خرج من الموت وامتلأ حياةً بدون أن يُمْسِكَ به أذى.

مشى النبي ثلاثة أيام في الهلاك، ولم يرَ فسادًا في المُوضِع الضيّق الذي يُفسِدً الكلَ.
صعد الكارز من بيت الآلام بدون أذى، وأعاده البحر كوديعة إلى اليابسة رفيقته.
أشرقت القيامة على النبي ورَشَّتْ عليه الحياة، ففتح عينيه ورأى النور واشتاق إلى لقائه معه[1].
القديس مار يعقوب السروجي

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 147-153.

يونان يرجم نينوى بأصوات كرازته!

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [كانت رسالة الله على فم يونان واضحة، لم يذكر فيها شيئًا عن قبولهم إن رجعوا، لكنهم أعلنوا توبتهم، قائلين: "لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه، فلا نهلك" (يونان 3: ٩). فإن كان الأمميون غير الفاهمين استطاعوا إدراك هذا، كم بالحري يليق بنا نحن الذين تربينا على التعاليم الإلهية، وشاهدنا أمثلة كثيرة من هذا النوع عبر التاريخ وفي اختباراتنا الحالية أن ندرك هذا؟![1]]

كما يقول: [في أيام يونان لو لم يُهَدِّدْ الله بالدمار لما نُزِعَ عنهم الدمار... لو لم يُهَدِّدْنا بجهنم لسقطنا جميعًا فيها[2].] كما يقول: [التهديد بالخطر يُسَبِّبُ خلاصًا منه... التهديد بالموت يجلب حياة. أُبطِلَ الحُكْمُ بعد أن أُعلِنَ، وذلك على عكس ما يحدث بين القضاة الزمنيين، فإنهم إذ يصدرون حكمًا يصير نافذ المفعول... أما بالنسبة لله، فبالعكس يُعلِنَ الحُكْمَ لكي يُبْطِلَه[3].]

كثيرًا ما أشار **القديس يوحنا الذهبي الفم** إلى تهديد الله بالهلاك والموت، لا لكي يُهْلِكَ ويُمِيت، وإنما لكي يقود الإنسان أو الشعب إلى الحياة بالتوبة. فالتهديد بالموت هو والد للحياة[4].[لهذا هدَّدَ الله بالجحيم، حتى لا يقود أحدًا إلى الجحيم[5].]

ويرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن كلمات يونان كانت كالسهام، صوَّبها على شعب نينوى، إذ لم يفتح أمامهم باب الرجاء، ولا قدَّم لهم مراحم الله التي تحتضن التائبين، بل صبَّ عليهم الويلات المُرعِبة. ومع هذا لم يَشُكُّوا في كلماته، بل صدَّقوه وتحرَّكوا للعمل.

- ❖ بدأ يونان يسير في طريق نينوى، وألقى صوتًا يُوَلِّد الآلام في سامعيه.
  بلغ المدينة ورجمها بأصوات إنذاره، وهدَّدَ وتوعَّد وامتلأ غضبًا وحنقًا عظيميْن.
  دعا بانقلاب المدينة، وبَشَّرَها بأصواتٍ مُرْهِبة عن الخراب، وأكثر من التهديد.
  قطع عليها الموت المرذول، ودعا بحرب الغضب الإلهي يتسلَّط عليها.

---

[1] *Letter to Theodore.*
[2] *In 1Tim. Hom 15; Conc. Stat. 5: 16.*
[3] *Conc. Stat. 5: 16.*
[4] *Cf. Concerning the Statues, Honily 5: 5-6; On Lazarus and the Rich Man, Homily 6; On Repentance and Almsgiving 5: 4.*
[5] *Homilies on Repentance and Almsgiving 5: 4.*

بدأ النبي إنذاره المملوء آلامًا، وشدَّدَ صوته بأن المدينة تتحطَّم ولا تقوم.
الويل لكِ، الويل لكِ، أيتها المدينة المُتَجَبِّرة، فإن إثمكِ العظيم قد صعد أمام العدالة، وها قد استلَّتِ العدالة سيفها لتُحَطِّمَ كل جمالكِ.
ويل لكِ يا نينوى، لأن آثامكِ كثرت، وصدر الغضب من العليّ، ليَدُكَّ أسوارِكِ، ويُخَرِّبَ قصورك.
الويل لكِ، لأن الخطايا فاحت منك كالدخان، وهوذا الغضب يُهَدِّد ليجعلك تلاً ببأسه.
الويل لكِ يا نينوى البهية الشهيرة، وها قد حلَّ وقت انقلابكِ من أجل آثامكِ.
الويل لكِ أيتها المدينة الظافرة والعجيبة في البلدان، ها هم يهدمونك فتصبحين عارًا وتأنيبًا.
ها تَرَكَ لكِ أربعين يومًا يا ابنة الشعوب، ويَحِلُّ بكِ الغضب، فتصيرين تلاً مملوءًا رعبًا.
بعد قليل تبلغ الحربة إلى بهائكِ، وتفسد جميع حُسن خصبكِ.
هوذا الديان العادل قد دانك لأجل إثمك، وأصدر الحكم وقصَّرَ حياتك ليُهلِكِكِ.
بعد الأربعين تصيرين ركامًا أنتِ ومن فيكِ، بعد الأربعين تكونين قبرًا لمن هم فيكِ.
بعد الأربعين يذبل كل جمالكِ، وبعد الأربعين يظلم كل بهائكِ.
بعد الأربعين تخلو أبوابكِ من الداخلين، وتَتَعَطَّل كل الطرق المُمَهَّدة من قبلكِ.
بعد الأربعين يبكي عليكِ عابرو الطريق، ويتجنبونكِ كما لو كنتِ قبرًا مملوءًا بالمخاوف.
بعد الأربعين يُرعِبُ الخوف كل جمالكِ، ويهدم ويُسقِط قصوركِ العالية على ساكنيها.
بعد الأربعين يفسد الدمار كل زيناتك، ويستأصل المباني الشهية ويقلقكِ.
بعد الأربعين ينزل وجهاؤك إلى الجحيم أحياء، ويضغط الغضب على نبيلاتكِ مثل العَصّار،
بعد الأربعين لن تكوني مدينة بل ركامًا، سيدعونكِ جحيمًا وليس نينوى المشهورة.
بعد الأربعين يصدر عليكِ السيف المسلول ليُدَمِّرَ الحياة، ويُكثر القتلى في قصورك.
بعد قليل يوافي أجلك أيتها الشقية، ويقترب يوم مجازاتك يا سيدة الأهواء.
لقد وصل صوت الرعب ليزعجك، ورعد الغضب يحمل سقوطك بصورة مفاجئة.
بعد قليل يأتي الغضب ويهدمك، وتدور عجلة المخاوف وترعبك...

ألقى يونان في ابنة الشعوب أصواتًا مُرعِبة، ففزعت وارتعشت وارتعدت وتمرَّرَتْ من وعيده. رشقها بالأخبار كما بالسهام، فسقطت أمامه، وزاد في رجمها بأخبار الشؤم كمثل رجم الحجارة. صرخ فيها بحدةٍ فرهبت تهديداته. دعا لها بالخراب، فصدَّقَته ولبست الآلام[1].

القديس مار يعقوب السروجي

مدينة الأسوار المُحَصَّنة في رُعبٍ من رجلٍ واحدٍ!

يصوِّر لنا القديس لقاء يونان بأهل نينوى أشبه بمعركة، طرفاها يونان النبي من جانب، وأهل نينوى وقادتها من جانب آخر. جاءها بدون سلاحٍ، فارتعبت منه، وكأنهم رأوا فيه جيشًا عظيمًا.

❖ أنذر يونان بعنفٍ وتهديدٍ، وسمعته بمهارة وإفرازٍ.

طرح فيها الأصوات، فاستيقظت من نوم الذنوب، وأسرعت بقوةٍ تستيقظ بالتوبة. كانت كلمات يونان تصدح في الأسواق، وأنصت كل إنسانٍ إلى إنذاره بالحبِّ. صارت مدينة الأسوار في رُعبٍ من رجلٍ واحدٍ، وبدون سلاحٍ قمعها بصوته مُهَدِّدًا.

صرخ فيها، وانتهت إلى تهديداته، وارتعبت من كلماته...

خافت منه أكثر من صفوف الجنود. عصرها بأصواته كما من جنود جبابرة، وهو متعرٍ من السلاح صار صوته يُرْعِبُ كالمقاتلين. منظره مسكين، ارتعدت منه الجيوش. منظره حقير وفقير، وصوته أرعب رؤساء الأرض. منظره مُزدرى، وجزعت المدينة من كلماته[2].

القديس مار يعقوب السروجي

يا عبد الربِّ تكلم معنا بمسرة!

في تواضعٍ طلب أهل نينوى أن يترفَّقَ بهم يونان، فيفتح فمه بكلمة رجاء. كانوا مُستعدِّين للتعلُّم، فقد مارسوا الصوم، ولبسوا المسوح، واجتمعوا معًا بروح الوحدة لتعلُّم كيفية إرضاء الله.

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 169-175.

[2] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 175-177.

❖ لما عرفوا أن الغضب حال من لدن العلي، هربوا منه ودخلوا واحتموا بالتوبة.

جاهدوا بصفوف الصوم ضد الغضب، ولبسوا المسوح بحزنٍ عظيمٍ، وركضوا والتجأوا بتمييز إلى التضرُّع.

ودخلوا إلى التوبة كمدينة مُسَوَّرة، ونظموا الصوم أمام الغضب، ليدخلوا الحرب التي ثارت ضدهم.

وصاغوا المسوح ليجابهوا الخطر الذي حيَّرهم، أقاموا جانب البرِّ بصومهم.

وبسبب الرعب اكتسى الكبير والصغير بالآلام، لأن صوت يونان كان يُرجِفهم بتهديداته.

بلغت الكلمة إلى ملك نينوى بخوف عظيم، وارتجف العزيز بصوت المُنذِر بالسقوط.

تكلموا مع الملك الرهيب عن يونان (وقالوا): من هو هذا الذي يتوعَّد ويُهَدِّد سلطانك؟

من هو هذا الذي يهزأ بتاجك، ويسخر منك، ويُهَدِّد كثيرًا بانقلاب المدينة بغضبٍ؟

انظر أيها الملك العظيم إلى خبر هذا الذي احتقرك، وافحص مهمته: بأية قوة يُهَدِّدَك؟...

قدَّم (رجال الملك) له (ليونان) هدايا متميزة ولم يأخذها، وسجدوا له ولم يكن يعرف إلا أن يُهَدِّدَ.

توسل إليه الملك ولم يرد أن يحابيه، وطلب منه ولم يهدأ من التهديد.

يا عبد الرب تكلم معنا بمسرة، فنتعلم منك، إن كانت هناك وسيلة فنُشفَى من آلامنا.

ماذا يرضي سيدك الغاضب كما تقول؟ إن أمكن اسأل معنا من أجل الغضب، وعن الأسباب التي أعدت الحربة لتهديدنا.

علِّمنا، بأية وسيلة يُبطَلُ الغضب عنا؟[1]

القديس مار يعقوب السروجي

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 177-181.

المعركة ليست كالمعارك المعتادة!

ظهرت حكمة الملك في معالجته للموقف:

1. في تواضعٍ، لم يستخف بإنسانٍ أعزل من السلاح، فقير ويبدو في مظهره كحقيرٍ.
2. ترك الكرسي الملكي، مُقَدِّمًا التوبة في انسحاقٍ وتوبةٍ صادقةٍ.
3. جمع الشعب ليشترك الكل، حتى الأطفال الصغار في المعركة.
4. أدرك أن سلاح الرُضَّع والأطفال أعظم وأقوى من كل سلاح، فبهم يربحون المعركة، ويغتصبون مراحم الله العظيمة.

❖ من لا يصوم ينكشف ويتعرَّى ويتعرَّض للجراحات. لو كان آدم قد كشف نفسه بالصوم، لما تعرَّى (تك 3: 7). حرَّرتْ نينوى نفسها من الموت بالصوم. الرب نفسه قال: "وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم" (مت 17: 21؛ مر 9: 29)[1].

القديس أمبروسيوس

❖ مثل قوة سماوية تفحص اتهام نينوى هكذا انتزَع الصوم المدينة من أبواب الموت هذه وأعاد نينوى إلى الحياة[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يا للعجب! عندما نسي أنه ملك للناس بدأ يصير ملكًا للبرِّ. إذ صار ملكًا مُتدَيِّنًا لم يفقد إمبراطوريته، إنما قام بتغييرها قبلاً كانت له مملكة بنظام عسكري، الآن نال مملكة بنظام سماوي[3].

القديس مكسيموس أسقف تورين

❖ قال يونان: ليس من وسيلة لإبطال الغضب، فقد اشتد الإثم وحلَّ الانقلاب ليحطمكم.
تَقرَّر الشر ووصلت النهاية المحتومة، اقترب الضيق، وصار السقوط على الباب.
أرسلني الرب، ذاك الجبار الحامل الخليقة، لكي أدعو بالانقلاب، وبصوت الفزع على أسواركم.

---

[1] *Letter 4:4.*
[2] *Homilies on Repentance and Almsgiving 5: 4.*
[3] *Maximus of Turim: Commentary on Jonah.*

ذاك القوي الذي أرعب بأمره كل الخلائق، وينظر إلى الأرض وترتجف منه لأنه ربَّها.
ذاك الذي أدَّب الأرض بمياه المجازاة وأباد الخطاة منها ولم ينجوا.
ذاك الذي شتَّتَ الشعوب في الأقطار منذ عهد بابل، وإذ أخطأوا ضده بلبل ألسنتهم وأهلكها...
لطمت هذه الأصوات ملك نينوى، وارتعب عندما سمع الأخبار المُخِيفة.
خاف من يونان أكثر من آلاف الجبابرة، وسقط الملك أمام ذلك الحقير.
قام من عرشه البهي، وطرح التاج عنه، ولبس مسوحًا، وأعدَّ نفسه للتوبة.
رأى أن يونان لا يريد التراجُع في ما يقول، ففكَّر ليُبْطِلَ كلماته بالمتناقضات.
وجد أن النبي يُهَدِّدُ كثيرًا وبقوة، فشدَّ حقويه (حزم أمره) ليواجه الخطر ببأسٍ.
علم ماذا تتطلب تلك المعركة، فهيَّأ نفسه ليُقِيمَ الجبهة مثل باسلٍ.
أدرك إن هذه المعركة ليست كالمعارك المُعتادَة، فجمع شعبه، وحثَّهم على الجهاد.
جمع جنوده وصفَّهم للطِلْبَةِ، وموَّن صفوف الجنود بالصلوات ليَسِدَّ الثغرات.
جعل الرجال والنساء والأطفال يمسكون بالصوم، كل واحدٍ حسب قوته، ليصطفُّوا للقتال مُقابِل الغضب.
قال الملك لجنوده مثل هذه الكلمات: لجيوشه التي تجمَّعَتْ معًا لأجل الطلبة.
فإن قتالاً جديدًا ندخل فيه غير مألوفٍ. لنوقظ نفوسنا على النصر بالفضيلة. أريحوا السلاح، واحملوا المسوح بدل الدروع، واتركوا السهام وليَفحْ منا صوت الطِلْبَات. ليقم الأطفال والشيوخ، ويصطفوا ضد الغضب، وليحارب الرجال والنساء مع الهلاك.
ولا يتعطَّل عن المعركة حتى ابن يومٍ واحدٍ، لأن القتال شديد فلا نظهر فيها الملل.
صبي لم يخطئ يدحر ألفًا في هذه المعركة، ليأتوا معنا لأن كل الحرب بهم تُربَح، هوذا العبراني يُهَدِّدُ ويلوح ليُبِيدَنا لنُجابِهَه لئلا يفرح بنا لما يغلبنا،
رُضَّع اللبن يشتركون معنا هنا بين الصفوف ويسندوننا، إلى أن يُدفَعَ الشرُّ عنا.
في هذا القتال الصبيان أقوى من الرجال، والأطفال يجاهدون أسهل من الجبابرة.
الأطفال الذين لم يخطئوا يدحرون في هذه المعركة بالألوف، ويشتركون معنا، فبِهِم يصير

النضال أفضل[1].

القديس مار يعقوب السروجي

بالتوبة يتحدى الملك تهديدات النبي!

بحكمةٍ أدرك الملك أن حياته وحياة شعبه في يد الله، إله هذا النبي. فإن كان يونان قد أغلق باب قلبه أمامهم، فإن التوبة قادرة أن تفتح أبواب مراحم الله.

❖ آمنت نينوى، أما إسرائيل فقاوم غير مُصَدِّقٍ. آمن أهل الغرلة، أما أهل الختان فاستمروا في عدم إيمانهم.

❖ الصوم والمسوح هما أسلحة التوبة، تُعِين الخطاة. الصوم أولاً ثم المسوح، الأول يُشِيرُ إلى ما هو غير منظور، ويَلِيه ما هو منظور. واحد قائم أمام الرب على الدوام، والآخر يقوم إلى حين أمام الناس.

❖ بالتوبة ترتبط المسوح بالصوم، حتى أن البطن الفارغة وملابس الحزن تترجى الرب بقدرٍ كبيرٍ في الصلاة.

القديس چيروم

❖ صام أهل نينوى، واقتنوا محبة الله، أما اليهود فصاموا ولم ينتفعوا شيئًا، بل بالحري نالوا لومًا (إش ٥٨: ٣، ٧؛ 1 كو ٩: ٢٦). إذن فالخطر في الصوم عظيم بالنسبة للذين لا يعرفون كيف ينبغي عليهم أن يصوموا. لنتعلَّمْ قوانين هذا التدريب، حتى لا نركض باطلاً أو نصارع الهواء، أو نكون في حُزنِنا نصارع ظلالاً. الصوم دواء، لكنه ليس نافعًا على الدوام إن استُخدِم بطريقة غير سليمة بسبب عدم خبرة مُستخدميه[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ها العبراني يجزم ويُهَدِّدُ بهلاكنا، لنحترص له، لئلا يشمت إذا ما غلبنا.

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 181-189.

[2] *Conc. Stat. 3: 8.*

لم يهدأ عن أن يدعو الغضب لإهلاكنا. ونحن لن نهدأ حتى ندعو الرحمة لخلاصنا.
طلب الرجل أن يُثَبِّتَ كلمته لأنه نبي، اتركوه ينذر، وهلمُّوا نتوسل نحن إلى سيده.
هو لا يرضخ لأنه لا يحق له أن ينقض كلماته، ربُّه مُسلّط (له السلطان)، لنرجع إليه لئلا يهلكنا.
إنه رسول ينطق بما قيل له. في سلطانه أن يكرز لا أن يُهلِكَ، فلا نحزن.
لو أن بيده (النبي) الأمر لدَمَّر المدينة. إنه في يدَي الرب، فلا نَمِلُّ من التوسُّل إليه.
لو كان بيدِّ النبي أن يبني ويهدم كما يُهَدِّدُ، لكان من الصعب أن نطلب منه لأنه لا يرحم.
الكلمة له فليُشَدِّدها على قدر استطاعته، لقد سمح له أن ينذر، ولو استطاع لاستأصلنا بصوته.
لكن مقابل صوته نوقظ أصوات التوبة، وندعو بالبكاء، فنُسكِتْ الرجل فيهدأ.
لا نتوسل إليه، فإنه لا يُطِيعنا ويتوقف عن كلامه. لنرسل أصوات آلامنا إلى العلي، فهو يخلصنا[1].

القديس مار يعقوب السروجي

الكرازة بالتوبة تفوق أصوات التهديد!

تطلع الملك إلى التوبة الصادقة مع الصوم والصلاة أسلحة مسيحيَّة لاقتناص مراحم الله.

يرى **الشاعر اللاتيني بولينوس من نولا** أن يونان كرَجُل صلاةٍ مملوءٍ بالرجاءٍ، صار يصلي وهو في بطن الحوت.

- الرجاء في الخلاص بواسطة مصادر بشرية ليس خلاصًا، لأن الوسائل القابلة للموت لا تهزم الموت. لذلك فإن أولئك الذين يعيشون في وقت الاضطرابات يلزمهم أن يكونوا مُتَلهِّفين على الصلاة لربِّ السماء، الذي يسمح بالحزن أو البهجة، وهو وحده بتنازله المتواضع، يمكن أن يؤكد أن المتاعب قد أُزِيلَتْ والأزمنة السعيدة قد استُردت...

قوة الصلوات والقوة الشافية للدموع في حضرة الله أبينا هما **الدرس الذي يلزم تَعَلُّمه من نينوى**

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 189-191.

التي خلصت بحزنها... هكذا الإيمان الذي يتكئ على الله يجب أن يُقَوّي القلوب المُرتعِبة، وثقتها في الله يجب أن توحي لها بأيام مملوءة سلامًا. فإن مخافة الرب تكفل التحرُّر من الخوف، بينما من لا يخاف الرب هو وحده يليق به أن يخاف من كل أحدٍ. هؤلاء الذين ليس لهم ثقة في المسيح كحامل للخلاص، يليق بهم أن يضعوا ثقتهم في فرقٍ بشرية[1].

الشاعر اللاتيني بولينوس من نولا

❖ صدر الأمر من بيت الملك بقوة يدعو المدينة كلها للتوبة.

كثر المنذرون في جميع الأسواق، واحد يليه الآخر، وتوارى صوت يونان من بين أصواتهم.

صرخ عبيد الملك في المدينة بشدة، وأرعدوا الأسواق بالإنذار المملوءة ألمًا.

بأمر ملك نينوى ورؤسائها، يصوم الشعب كله للرب بألمٍ عظيمٍ.

ليس فقط الناس بل والبهائم أيضًا. لا تأكل الغنم والثيران، وفي بيت أسيادهم لا ترعى،

ولا تشرب ماءً نهائيًا. صوم عظيم يبطل الغضب العظيم!

كل الشعب يلبس المسوح، هم وبهائمهم. وليرجع كل واحدٍ عن طرقه القديمة.

ليتوقف الإثم ولا يُستعمَل الخداع في المدينة، ولا يُذكَر خبر الخطف والسلب نهائيًا.

ليسدّ فمه الظلم ومحبة المال، وليصمت خبر الزنى والفجور.

ليُبطَلْ إذًا الإثم الظاهر والخداع الباطن: خطايا كل يوم مع زلات كل الأوقات.

هوذا الغضب آتٍ، ليَسْبُكْ كل واحدٍ سلاحًا لملاقاته. صدر الشر فليركض الشعب إلى التوبة.

ارتجفت المدينة بسبب الإثم الذي اقتُرِفَ فيها، ليسند كل واحد بيته بالصوم لئلا ينهار.

وصل الدمار إن توقَّف التضرُّع، واقترب الهلاك إن لم يزجره الصوم.

الغضب شديد ما لم تخمده الصلاة، ليحمل كل واحدٍ الثمار اللائقة بالتوبة.

ليصنع كل واحدٍ ما يليق بالإيمان، وليحمل كل واحدٍ أعماله الصالحة كالعطور.

ليُسَدِّدَ كل واحدٍ دَينًا عظيمًا من الصك، وليؤدِّ قسمًا منه حسب طاقته إلى أن يوفي.

من له دموع ليجلب الدموع فسيُقبَل، ومن يُقَدِّم الألم فبألمه يوفي ما يجب عليه.

---

[1] *Poem 26.*

لو يجلب آخر تنهدات فإنها محبوبة، أو طلبة فإنها ترضي كثيرا صاحب الدَّين،
الرماد غنى وهذا يليق ليجمل به الملك، والبكاء ذهب، وبه يُمَزَّق كل الصك.
الرماد هو ثروة، هذا يليق بالملك ليتزيَّن به. البكاء هو الذهب، به تُمحَى جميع الصكوك.
الأيام مُقَصِّرة، والغضب عظيم ويُخِيفنا، ليركض كل واحدٍ ويدعو الرحمة لتُنقِذَنا.
هذه الأصوات كانت تُسمَع من المُنذرِين، وتجمَّعَ الشعب بخوف إلى صوت التضرع.
رمى الصوت الملك الشجاع الماهر في الجهاد، وجميع المدينة لبست السلاح كإنسانٍ واحدٍ.
وقف في المقدمة وجيوشه وراء عقبه، وحثهم على التوبة كما لو كان لمجابهة الخطر.
هلمُّوا يا جيوشي نتضرع ما دام مجال، لئلا يهجم الشر فجأة ويَفْنِينا.
صادَفتني حروب وما أخافتني إلا هذه، ورأيت المعركة وهنا خفت مثل المعذور.
لم أفزع من أفواج [أية] جبابرة، من يونان ترتجف رجلاي وهو فقير.
شعوب الأرض لم يخيفوني بحروبهم، وهذا الرجل أفزعني دون أن يحارب[1].

القديس مار يعقوب السروجي

التوبة معركة أَم عُرْس!

❖ كان شهيًا التجمُّع الذي صنعته نينوى للتوبة، فكانت تُسمَعُ أصوات الألم من كل الأفواه.
محبوبًا كان الاحتفال الذي صار في شوارعهم، لأنهم كانوا يذرفون الدموع، وينالون الرحمة لأجل خلاصهم.
كان بهيًا العُرْس الذي صنعوه بانسحاق النفس، لأن أصوات البكاء كانت ترعد فيه بدل المزمار.
كان بهيًا العيد الجديد الذي صار هناك، وبدل الذبائح دخلت الصلاة لتُقَرَّبَ فيه.
الوليمة التي صنعتها نينوى لسيدها الغاضب ليدخل يستريح على مائدتها ويرضى عليها.
جمعت بيتها بثياب الأشراف والشريفات، وبلَّلت الأسواق بالدموع التي سالت من عيونها.
زينت أبوابها بالمسوح الكالحة المُحَمَّلة بالآلام، وبدل البخور صبَّتْ الدموع في جوارها.

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 191-195.

فاحت التنهدات من كل الأفواه كالعطور، ليرضى الرب بذلك العمل الذي كان يُحِبُّه.
كان تضرُّعًا يملأ من ينظر إليه عجبًا، لأن الملك كان قد أصبح مؤدِّبها ليجمعها.
خرج العريس من حجاله لابسًا المسوح، وخرجت العروس من خدرها، وأحنت رأسها بحزنٍ عظيم.
تفرَّسا في الملك، وإذا به قد طرح تاجه في ألمٍ عظيمٍ، فطرح العروسان أكاليلهما وبكيا معه.
ألقت العرائس ثياب بهاء العرس، وتباهت بلبس المسوح على أجسادهن.
عوض التنعُّم ارتدين ثياب الحزن، وعوض الأطياب، وضعن الرماد على رؤوسهن.
عوض الخمور المهيأة لزفافهن، مزجن البكاء للمدعوين في متكآتهم.
بصوت يونان بطلت الأفراح في المدينة، ولبست المدينة كلها الحِداد مع ساكنيها.
تعطلت زينة المخطوبات المُرَصَّعة، ففي أسواقهم لم يكن يلمع سوى المُسح.
خبر الخوف أفزع المُتَبَتِّلات، فألقين ورمين كل جمال زينتهن.
أبغض الشباب كل زينة العهارة، وتجرَّدوا مثل "مبكى" المتوحدين.
الملك جُعِلَ صاحب الحِداد للشعب كله، وكل من يأتي كان ينظر إليه ليبكي معه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

الرُضَّع تختلط أصواتهم مع الأمهات!

❖ صار الرضيع كغريبٍ عن ثديَي أمه، يصرخ مُقابِلها وتبكي مقابله بمرارة،
اختلط صوت الوالدات مع أصوات أولادهن، وهناك رعدت أصوات كئيبة أثناء التضرُّع.
امتزج اللبن مع الدموع الصادرة من الأمهات، وهن ينظرن الصبيان يصرخون من العذاب.
فرض الملك المملوء حِكَمًا صومًا عظيما خُصِّصَ للبشر وللبهيمة.
حتى عن الطفل منعوا اللبن، لأنه إنسان لئلا ينقض أحد صوم الملك بشكل من الأشكال.
يصرخ المُسِنُّون في مقدمة الطلبة مثل الشيوخ (القساوسة)، وبأفعاله يُشْبِه الملك الكاهن الأعظم

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 195-199.

في أعماله[1].

القديس مار يعقوب السروجي

نينوى تَدِين ابنة يعقوب!

❖ أَذكر الآن خبرها العظيم، هذا يطيب لي، ولا أَمِلُّ من الميمر المملوء بكل الفوائد.
أقول فيها إنها كانت مُجتَهِدة في توبتها، وبطلبتها اشتهر خبرها في العالم كله.
لينسج لساني إكليل المدائح، وليُقَدِّمَه لابنة الشعوب (قائلاً): كم حسنت بأفعالها.
في قصتها أصير فاعلاً، يعمل بنشاطٍ لتلك النشيطة التي كانت مُجتهِدة في الطلبة.
سأزعج بها ابنة إبراهيم (قائلاً): كم كانت دنيئة لأنها لم تَقْبَلْ المُخَلِّص الذي جاء إليها.
تلك سمعت النبي الذي دعا بالدمار، وهذه شكَّتْ في ربِّها الذي أتى ليطلبها.
دخل يونان إلى مدينة نينوى بدون انتصارات جبارة، وهو ينذر بالدمار فقط.
قال فيها كلمة بسيطة بدون برهان، ولم يحتقره رجال نينوى الذين كانوا حكماء.
ولهذا كُتِبَ أن رجال نينوى يقومون ويَحْكُمون على جيل افترى على المُخَلِّص.
يُحْكَمُ الآن على ابنة العبرانيين من قِبَلِ أهل نينوى، لأنها قبلت الميمر وأعطت ثمار التوبة.
لم يَدْخُلْ يونان إلى نينوى وقد عمل قوات ولا اشتهر بعجائب مثل مُخَلِّصنا.
لم يُغَيِّرْ فيها الماء إلى الخمر لتتلذذ به، بل مزج لها ألمًا وقبلت منه لأنها كانت حكيمة.
لم يُعْطِ شفاءً للمرضى لكي يُحَبّ، بل هدَّدَ الجبابرة بالتدمير ولم يتذمروا.
لما جاءهم بأخبارٍ سيئةٍ سمعوه بحبٍ، فلو فعل هناك حسنى ماذا كان سيحدث؟
أعلن هناك أن المدينة ستهلك وقد قُبِلَ، فلو قدر أن يقيم الموتى كم كان سيعظم؟
قال لها إن أحياءها سيموتون، فسجدت وأكرمته، فلو قال لها: سيحيا أمواتها لعلها كانت ملكَّته (عليها)!
صهيون نقضت سبيل ربِّنا المحبوب، وإذ كان يصنع فيها الحسنات كان يُهان.

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 201-203.

شفى المرضى وعافى الأوجاع وطرد الأبالسة وطَهَّر البرص وأَخْرَجَ الشياطين وأَسْمَعَ الصم...
صهيون جحدت كل هذه الحسنات وبعد كل هذه الأمور كافأت ابن الله بالإهانة.
يونان لم يفعل أمرًا واحدًا من هذه الأمور في أرض نينوى، بدأ بالهدم وجميعهم أحبُّوه وتوسَّلوا إليه...
يليق بهذه (نينوى)، الاسم الفاضل في العالم كله، لأنها عملت في الأرض عملاً صالحًا.
هذه التي تقوم في اليوم الأخير مع ابنة يعقوب وتدينها، لأنها تشكَّكَتْ في المُخَلِّص.
تخلَّصَتْ نينوى بالطلبة لا بالذهب، مدينة دفعت الدموعُ ثمنها، ودخلت ثم سَكَنَتها.
مدينة مقتناه بصلوات من قِبَل الله، قرية البأس التي صار لها المسح والرماد سورًا.
مدينة الغُلف تنتصر في الدينونة على مدينة المختونين، مُعَلِّمَة بنيها صوم الألم وبه تخلص.
تجمَّعَتْ حول الطلبة بألمٍ عظيمٍ، لأنها لم تتشكك من المُنذِر الذي تكلم فيها.
سمعت يونان، وصدَّقت كلامه كما قال لها، وقوَّمَتِ الطريق إلى ربِّها لتطلب منه.
كتبت بالدموع الطلبة، كمثل رسالة بعثتها إلى الله في مقرِّه السامي:
"ربِّي، أطلبُ أن تُبْطِلَ القصاص المُهيَّأ لي، واطردْ عني الغضب الآتي ليُدَمِّرَ أسواري وأَزِله.
ربِّي، أسألك رُدّ السيف المسلول عليَّ، وأَزِلْ الغضب المُرْتَفِع على رأسي لئلا أُعاقَب به.
ربِّي، أطلب أن تمنع المُدَمِّرين المُهَدِّدين لي، وبلا خوف احفظ أسواري التي تُسَيِّجني.
ربِّي، أطلب أن تحرس أبنيتي من الأذى، وأبوابي التي تحرسني لتبقَ بلا خرابٍ.
دخل النهار يفتقد الحزانى ويُبهِجهم، وكما من بيت السجن فتح الليل وأخرجهم[1].

القديس مار يعقوب السروجي

صباح مشرق على نينوى

❖ تغيَّرَتْ أصوات البكاء بالتسبيح، وعوض الدموع مسحوا وجوههم بالبهجة.
هتف الأحرار أمام الملك بصوتٍ مرتفعٍ: لتُفَرّحك يا ملكنا البشارة الجديدة، ونحيا معك.

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 209–219.

قُمْ أيها النشيط من الطلبة وافرح معنا.
أيها الحكيم غيِّر مسوحك، لأن الغضب قد بطل.
قُمْ من الرماد، لأن الرب ارتضى بتقرُّبنا إليه. اختم طلبتك، لأن المدينة تغطَّتْ بالرحمة[1].

القديس مار يعقوب السروجي

خصومة مملوءة دهشة!

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [حقًا لقد خجل النبي إذ رأى أن ما تنبأ به لم يتحقق... أما الله فلا يخجل أن يطلب أمرًا واحدًا هو خلاص البشر وصلاح خادمه[2].] ويرى **القديس چيروم** أن غَمَّ يونان وشكواه يقومان على إدراكه مراحم الله ورأفاته، إذ لم يكن مُمْكِنًا أن يُقَدِّمَه لأهل نينوى كإلهٍ قاسٍ، لذا اشتهى الموت ولا يرى مراحم الله تدرك الأمم بينما إسرائيل يهلك، فيقول على لسان النبي: [إنني الوحيد بين كثرة الأنبياء أُعلِنُ لشعبي عن دماره خلال خلاص الآخَرين].

- حزن ذاك العبراني، وصار في ضيقٍ شديدٍ وكآبة نفس، وصلَّى بألم إلى الله.
دبَّتْ فيه الغيرة، ليُعاتِب الربَّ بسبب الرحمة، وهو يتأسَّف.
ربِّي، أنا أعرف أنك رحوم ورؤوف، ولهذا سَبَقْتُ فهربتُ لما أرسلتني.
كنت أعرف طول أناتك منذ مدة طويلة، ولهذا خفتُ أن آتي إلى نينوى المملوءة إثمًا.
ربِّي، كنتُ أعرف بأنه لا حدَّ لنعمتك، لا تتركك تضرب الأشرار كما ينبغي.
كنتُ مُتيقِّن أن بحر الرحمة يجري منك، وكل تهديدك يضمحل به، وكأنه غير موجود،
ربِّي، كنت أعرف كم أن يدك مملوءة حنانًا، ولا تقدر أن تُمْسِكَ العصا لعذابٍ مُبْرِحٍ.
كنت أخاف من هذا الأمر الذي حدث الآن، ولهذا سبقتُ وهربت منك مثل عاصٍ.
هذه كانت قناعتي لما كنتُ في وطني، فقد وجدتك رحومًا كما كنت أعرف.
لم أتعلم مُجَدَّدا مَن أنتَ، كنت أعرفك ولهذا استصعبتُ أن أُنذِرَ...

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 239–241.

[2] *Conc. Stat. 5: 16.*

كنتُ أعرف، ولهذا لم أُرِدْ أن آتي إلى نينوى، غصبتني لآتي، فأتيت لأدعو بدمار، الآن لم يحدث.

انظروا أيها الحكماء بماذا يلوم يونان الله: عرفتُ أنك رحوم وحنان.

عيَّره على الرحمة، ولامه لأنه لا يؤذي، وعاتبه على نعمته الكثيرة.

كان خصام مملوء عجبًا لمن ينظر إليه، وقد أعده النبي ليتخاصم مع الله.

فتَّشَ عن أسباب بحسب إمكانيته ليناقشه بها، ولم يجد سوى كونه رحومًا.

كان يُعَيِّره بهذا التعيير لأنه يرحم، ولهذا السبب بدأ يونان يلومه.

تضايق يونان ولو وجد ربوات الحجج، لأتى بها ضد ربِّه بسبب الحزن الذي لحق به.

وإذ لم يقدر أن يقول شيئًا، قال باختصار: عرفتك أنك رحوم وحنان.

لام الله على رحمته ورأفته، وبدأ يطلب الموت لنفسه بمرارة.

تضرَّع قُدَّام الله: "يا سيدي خُذْ منِّي نفسي، لأن الموت الآن أفضل لي من الحياة.

أود أن أكون ميتًا، ولا تجعلني كاذبًا! الآن فسدت كلمتي الخاصة بالنبوة، والموت لي خير من العار[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يقطينة قَرْع تنبت فوق رأسه!

تطلع يونان إلى ظل الشُجيرة كبيتٍ له، يَحمِيه من حرارة الشمس؛ ففرح به وزال عنه حزنه. لكن إذ ضربت الدودة الشُجَيْرة تمرَّرَتْ نفسه فيه وانسحق، مشتهيًا لنفسه الموت. امتلأت أوراق الشُجيرة ثقوبًا بسبب الدودة، فشعر كأن بيته مملوء ثقوبًا. سقط الورق المثقوب عليه، فقام من نومه في فزعٍ، لم يعد بيته قادرًا على حمايته من حرارة الشمس.

❖ أعطاه الله شيئًا لكي إذا ما أخذه منه يتألم لفقده.

أمر يقطينة قَرْع أن تنبت فوق رأسه، فكثر الظِل بالمظلة التي صنعها له.

---

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 243-247.

لم يكن ليونان بيت، ليهدم بيته، ولا أولاد يقطفهم كالورود.
ولم يكن مُجَرَّبًا بهوى العالم ليُطِيلَ أناته، ولكي يُجرَّب أعطاه يقطينة يبتهج بها.
كانت تُرى حكمة خفية في يقطينة يونان، وعقل عظيم ظهر في شيءٍ صغيرٍ.
أمر الرب، ونبتت اليقطينة فوق يونان، ورآها ففرح، وزال ضيقه الشديد.
استراح المُتعَب تحت الظل، وابتهج قلبه بزوال الضيق المحيط به.
أُعجِبَ الرجل بالبيت الجديد الذي اقتناه فجأة، وأَحبَّه كثيرًا حتى نسي كل ألمه.
ابتهجت نفسه بالأوراق التي رآها هناك، فهدأ من الغضب، ولم يعد يطلب الموت لنفسه.
نَظَّم له الرب أمام وجهه منظرًا شهيًا، وبحكمة أبهج محياه المكمد. رأى الأوراق والثمار مرصوفة فوق رأسه، فتكبَّر الرجل مثل غني بذهبه الكثير.
رأى الأزهار في ذلك السقف الذي فوقه، وفرح بها كأنما بالكواكب التي توجد في الرقيع (الفضاء)[1].

القديس مار يعقوب السروجي

انثقب بيت يونان!

بينما كان يونان يستظل تحت اليقطينة، هبَّتْ ريح وفرح قلبه، وتلذَّذ بالهواء الرطب، وزالت كآبته منه. استراح المُتعَب من عناء كرازته، وزالت عنه كل هذه الأمور التي جعلته يتذمَّر.

❖ حينئذ أمر الرب يقطينة القَرْع فيبست، بريح حارة أُرسِلَتْ إليها.
تناثرت الورود، ويبست الأوراق وذبلت الثمار، وبرمز خفي فسد الجمال المُستعَار.
انثقب بيت يونان من كل جانب، ودخلت الشمس، وسحقت الرجل بمرارة.
حملت الريح ذلك الظِل الذي أراحه، واشتدَّ الحرُّ، وتضاعف العناء على المُتعَب.
تحوَّل الجو الرطب إلى سخونة، وحرقه الحرّ في سبات مُتعَب استولى عليه.
بريح السموم تناثرت الأوراق التي فوقه، وقلق الرجل، وأفاق من نومه، وهو مذعور.

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 251–253.

ولعله ظنَّ أن هذا هو الدمار الذي كان ينتظره، هجم على المدينة، وبلغ إليه ليُعَذِّبَه.
نظر ليرى، هل دمَّرَ الاضطراب نينوى، واستأصل معها مظلته الشهية.
تُرَى هل قَلَبَ الغضب المدينة على ساكنيها، وأتى وبلغ إلى اليقطينة واستأصلها فسقطت؟
وإذ نظر ووجد أن المدينة قائمة ولم تُدَمَّرْ، استاءت نفسه، وسأل الموت بألمٍ شديدٍ.
تضرع إلى الله: ربِّي، خُذْ نفسي، أعطني الموت الذي أطلبه...
مدينة الغُلف المبنية بالإثم لم تُهدَمْ، والمظلة الصغيرة التي اقتنيتها أصابتها الرياح!
خربت المظلة التي لم تتجاوز وصاياك، ونينوى تتهلل طربًا، وكانت شرورها لا تُعَد!
مدينة الأشرار أسوارها مرتفعة ومنيعة، واليقطينة الصغيرة التي قدَّمَتْ لي راحة اقتُلِعَتْ وانطرحت!
أبراج الأُمميين المملوءة إثمًا نَجَتْ من الغضب، والأوراق البسيطة التي اقتنيتها سقط وذبلت.
الآن يا رب، حلني من الحياة التي تزعجني. فإني أستريح بالموت فإني لا أجد هنا راحة!
بالقرع الذي يبس، أظهر الرب له أنه وهو نبي أيضًا هو إنسان، ويؤلمه هو أيضا الألم[1]،

القديس مار يعقوب السروجي

لماذا تلوم مراحمي؟

- ردَّ الله على سؤال يونان بسؤال، إذ قال له: هل حزنتَ كثيرًا كما تقول؟
سأله إذا كان حزن أم لم يحزن ليَعْرِفَ إن كان قد حزن حتى يوبِّخَه.
قال يونان: حزنتُ جدًا حتى الموت، ضيقي عظيم، وبسببه طلبتُ الموت.
وإذ قال إنه حزن على اللاشيء، حينئذ استعمل الرب التأنيب.
"قُلْ لي أيها النبي لماذا ذَممتَ شفقتي،؟ ولماذا عاتبتني لأنني تخلَّيْتُ عن التدمير؟
يقطينة القَرْع التي لم تتعب فيها ولا ربَّيْتها، نبتت في الليل وأنت لم تشعر أو تعرف بها،
عادت ويبست، وأنت بعيد من الأمريْن، ولا يعود إليك نموها ولا جفافها.

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 255–259.

ليس لك يد في أنها نبتت ولا يبست، وإذ كان الأمر هكذا، إذا بك حزين جدًا كما تقول.

كيف لا أحزن بهدم المدينة العظيمة التي تضم ألوفًا من الناس؟

لماذا لا تُشْفِقْ على ربوات الأطفال، الاثنتي عشرة، هؤلاء الذين في نينوى مع الحيوانات الكثيرة؟

اليقطينة التي يبست وهي ليست ملكك أحزنتك، المدينة التي هي ملكي لماذا لا تشفق عليها إذا دُمِّرَتْ؟

أنا الذي صوَّرتُ الأطفال في بطون أمهاتهم، وأعطيت الحياة للناس الناطقين.

أنا سكبتُ النور في العيون الجميلة، ومنحت السمع للآذان الحبيبة...

أنت لم تخلق اليقطينة، وانزعجتَ لأنها فسدت، أنا الذي خلقتُ ألا أشفق على مخلوقاتي؟

أنا غضبتُ على أهل نينوى فأرسلتُك، ولما طلبوا مني، أشفقتُ، فلماذا تتذمر؟

من شأني أن أريد، ومن شأني أن أصنع ما أشاء، لماذا أنت مُنزعِج لأني رحمتُ التائبين؟...

كل أحدٍ يحزن على مقتنياته إن فسدتْ، لماذا تُسرِعُ أنت لتهدم مدينتي التي هي ملكٌ لي؟...

كما حزنتَ أنت الآن، أنا أيضا أحزنُ أكثر منك على نينوى لو سقطت.

بحنانه فتح بابًا عظيمًا للتوبة، مبارك لأنه مملوء بالمراحم، ويُشْفِقُ على من يَدْعُونه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

[1] الميمر 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى يُقرَأ في صوم يونان (قبطي)؛ يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 259–267.

المحتويات

يونان النبي والمسيح القائم من الأموات

يونان رمز لشخص السيد المسيح، يونان وسرُّ اليوم الثالث.

عن يونان النبي وتوبة أهل نينوى

خرج الغضب الإلهي على المدينة ليهلكها وتقدَّم الحنان الإلهي وغلق الأبواب! يا له من جهل خطير أن يهرب الإنسان من الله! هروب يونان نبوة حسنة، وليس هروبًا من الله، البحر يُشِيرُ على يونان النبي بالحكمة! البحر يؤدب يونان، أمواج البحر أهْوَن من أمواج الخطية! أمواج العالم تضطهد مُخَلِّصنا! تصميم البحر على ابتلاع يونان! يونان في قاع السفينة نائم! لم يُدعَ الله الحقيقي وسط الآلهة الكذبة، رُعْب الملاّحين أمام يونان، القُرْعَة تصرخ ضد يونان، البحر الذي خدم بني جنسي يلقي القبض عليَّ! كرازة للملاحين الأُمميين! يونان يطلب إلقائه في حبس البحر! العبد الهارب ينحني ويصمت! استراحت السفينة المُضطهَدة من الأمواج! ازدادوا خوفًا من الله، ربِّ البحار! يونان يُصَوِّرُ مثال ابن الله! وديعة في بطن الحوت! سفينة جديدة مُدهِشة وفريدة! قبر يستريح فيه الأحياء! حوت أم قصر ملوكي؟ هيكل مقدس، ودير جديد، وسماء مخفيَّة! كاهن من البرِّ وهيكل في البحر! استجابة الصلاة! يونان يرجم نينوى بأصوات كرازته! مدينة الأسوار المُحَصَّنة في رُعبٍ من رجلٍ واحدٍ! يا عبد الربِّ تكلم معنا بمسرة! المعركة ليست كالمعارك المعتادة! بالتوبة يتحدى الملك تهديدات النبي! الكرازة بالتوبة تفوق أصوات التهديد! التوبة معركة أَم عُرْس! الرُضَّع تختلط أصواتهم مع الأمهات! نينوى تَدِين ابنة يعقوب! الرب يُزِيلُ غضبه عن نينوى، خصومة مملوءة دهشة! يقطينة قَرْع تنبت فوق رأسه! انثقب بيت يونان! لماذا تلوم مراحمي؟

من إصدارات خاصة بالقديس مار يعقوب السروجي

1. **ميامر عن والدة الإله**، تعريب ناهد فؤاد، 2005، مع مراجعة بعض المخطوطات.
2. حول ميامر عن **لقطات من حياة القديس إيليا النبي**، 2006.
3. **عظمة الإنسان** عند القديس مار يعقوب السروجي، 2007.
4. حول ميامر عن لقطات رائعة من **حياة اللص اليمين**، 2007.
5. **روح القوة** عند القديس مار يعقوب السروجي، 2008.
6. **هيكل في البحر، أم دير جديد؟** أم سماء خفية؟ 2011 الطبعة الثانية معدلة.
7. ميمر على **مار أفرام السرياني**، تعريب الشماس بيشوي بشرى فايز، 2010.
8. مؤتمر خطير **حول طفل المذود**، 7 يناير 2010.
9. **القديس مار يعقوب السروجي**، حياة إنجيلية مُعاشة، 2010.
10. **برقع وجه موسى النبي**، للقدِّيس مار يعقوب السروجي يعقوب السروجي، 2010.
11. القديس مار يعقوب السروجي، **حياة إنجيلية مُعاشة**، 2010.
12. **البتولية** عند القديس مار يعقوب السروجي، 2010.
13. **سلطان اللسان** عند القديس مار يعقوب السروجي. (تحت الطبع)
14. حول ميمر عن **توما الرسول والأحد الجديد**. (تحت الطبع)
15. حول ميامر عن لقطات من **حياة القديس أليشع النبي**. (تحت الطبع)
16. **حكم سليمان والزانيتان** عند القديس مار يعقوب السروجي.
17. **تجلي ربنا على الجبل وظهور إيليا وموسى**.
18. **نور القيامة المفرح واسترداد اللؤلؤة المفقودة**، 2010.
19. **كوكب إلى بابل وزيارة إلى مصر**، 2011.

من داخل البحر لساني يُسَبِّحك بغِنَى.
وفي قاع البحر أُرَتِّل لك بتمييزٍ.
تركتُك يا سيدي داخل أورشليم عند التابوت،
ووجدتُك تحت الأرض تُدَبِّر لي..
في دير جديد أسكنتني تحت الأرض.
أُرَتِّل لك بأصوات التمجيد من أجل عظمتك..
من داخل الموت أُمَجِّدك أيها الرب الصالح،
ويضفر لك فمي إكليل المديح وسط الهلاك..
كمثل مَن هو قائم في السماء
صلَّى في داخل الحوت إلى اللّه،
وكمثل من هو بين الكاروبيم دَوَتْ صلاته.

القديس مار يعقوب السروجي

KEROLLOUS MAGDY